

إعجاز الرحمن فيه

رأس القرآن

إعداد الباحث

زهدي جمال الدين محمد

الباب الأول

مُتَكَلِّمَةٌ :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبعد :

فقد بعث رسول الله ﷺ في أمة لا تعرف القراءة والكتابة إلا نزرًا يسيرًا فشجع أصحابه رضوان الله عليهم على تعلم القراءة والكتابة ، وسلك في ذلك وسائل كثيرة ، فراجت الكتابة في عصره ، حتى بلغ كتاب الوحي أكثر من أربعين كتابًا ، وزادت الكتابة انتشاراً مع توسع الفتوح ودخول أمم جديدة في الإسلام وكتب الصحابة رضوان الله عليهم الوحي بالخط السائد في الحجاز المعروف بـ (الجرم) وهو مأخوذ من الخط الأنباري أو الحيري ، وكذلك كتبت به صحف أبي بكر ومصاحف عثمان رضي الله عنهما ، ومع انتشار الفتوح ، ودخول بلاد جديدة في الإسلام تحسّن الخط ، وظهر ما يعرف بالخط المنسوب على يد رواد الخط العربي أمثال : قُتْبَةُ المَحَرَّرِ المتوفى سنة ١٣١هـ ، وأبو علي محمد بن مُقَلَّة المتوفى سنة ٣٢٨هـ ، وأبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣هـ أو ٤٢٣هـ وياقوت بن عبد الله المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨هـ وغيرهم ، وكان الغالب في كتابة المصاحف الخط الكوفي حتى القرن الخامس الهجري ، ثم كُتِبَ بخط الثلث حتى القرن التاسع الهجري ، ثم كتبت بخط النسخ حتى وقتنا الحاضر ، وعندما عُرِفَت المطابع الحديثة في بعض البلاد الإسلامية والعربية كتركيا ، ومصر والشام ، كان المصحف الشريف في مقدمة اهتماماتها فطبع بأحجام مختلفة .

إن خدمة القرآن الكريم ، والعناية بالمصحف الشريف شرف كبير يسعى المسلمون للفوز به ، ورغم ما بذل في بعض البلاد الإسلامية كمصر وبلاد الشام من جهود في ذلك إلا أن أعظم عمل هو ما قامت به المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد الملك عبد العزيز رحمه الله والذي تجلّى في مظاهر متعددة ، وتمثلت أبرز مظاهر هذه العناية في إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .

نحاول في هذا البحث استعراض مراحل تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته، بطبعه ونشره وترجمة معانيه ، مستعيناً بما تيسر من مصادر ، أو تقارير ، ومحاولاً الالتزام بالدقة في عرض المعلومة ، وتوثيقها من مصادرها .. وذلك من خلال الفقرات التالية :

تطور الكتابة العربية .

كتابة القرآن الكريم.

نقط المصحف الشريف .

تجويد الخط العربي.

تطور الكتابة العربية :

عرفت العرب الكتابة في جاهليتها ، وعدَّتها شرطاً في كمال الرجل العربي مثل معرفة السباحة والرماية وركوب الخيل ، وتعود معرفتهم بالكتابة إلى اتصالهم بالأمم المتحضرة في بلاد اليمن وتخوم الشام ، فأنشئوا ممالكهم على أطراف تلك البلاد ، وكانت مملكة النبط إحدى هذه الممالك التي قامت على أطراف بلاد الشام في الناحية الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية (١٦٩ق م - ١٠٦م) واتخذت البتراء (سلع) عاصمة لها ، وكانت لهم صلات بالآراميين ؛ فتأثروا بهم وتحدثوا لغتهم ، واستنبطوا لأنفسهم خطأ خاصاً بهم عُرف بالخط النبطي ، اشتق منه عرب الشمال خطهم الأول ، فعرف الخط الأنباري ، والخط الحيري ، أو الخط المدور ، والخط المثلث ، وفي الحجاز ، حيث كان يحتكر أهل الذمة معرفة الكتابة عُرف خط التسم ، أو الجزم ، وعندما ظهر الإسلام أصبحت الكتابة وسيلة هامة من وسائل نشر الدين ، وضرورة من ضرورات الحكم .

وبعث رسول الله ﷺ في أمة أمية ، لا تكاد تعرف القراءة والكتابة إلا نزرأ يسيراً قال تعالى في سورة الجمعة آية ٢ :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ ۝

فشجع ﷺ أصحابه على تعلّم الكتابة ، وسلك في ذلك وسائل مختلفة ، حتى إنه اشترط لفكّك الأسير من قريش في بدر تعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة فراجت الكتابة في عصره ﷺ ، حتى بلغ عدد كتّاب الوحي أكثر من أربعين كاتباً ومن هؤلاء : عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، فإذا غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يحضر أحدهما كتب غيرهما ، هذا عدا من كان يكتب بين يديه ﷺ فيما يعرض له من أمور دينه وحوائجه ومن هؤلاء : خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان .

أو يكتب للناس مدايناتهم وعقودهم ومعاملاتهم ، ومن هؤلاء : المغيرة ابن شعبة والحسين بن نمير ، وكانا ينوبان عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا .
أو يكتب أموال الصدقات ، وقبائل الناس ومياهم ، ومن هؤلاء : عبد الله ابن الأرقم بن عبد يغوث ، العلاء بن عقبة .

أو يكتب خَـرْص ثمار الحجاز ، ومن هؤلاء : حذيفة بن اليمان ، أو مغانم الرسول ﷺ ومن هؤلاء : مُعَيِّقِب بن أبي فاطمة ، حليف بني أسد ، أو يكتب إلى الملوك ويحجب عن رسائلهم ، ويترجم إلى الفارسية والرومية والقبطية والحبشية ومن هؤلاء : زيد بن ثابت .

وتعد الحجاز أول بلاد العرب معرفة للكتابة ، وكانت قريش في مكة وثقيف في الطائف أكثر القبائل شهرة بها ، ومن أبنائهما اختير كتاب صحف أبي بكر الصديق ﷺ ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ، كما روى جابر بن سمرة : " لا يُـمَلِّـن في مصاحفنا هذه إلا غلمان ثقيف " ، وعندما جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه مصاحفه قال : اجعلوا المُمَلِّي من هذيل والكاتب من ثقيف .

كتابة القرآن الكريم :

كان القرآن الكريم يتنزل منجماً على رسول الله ﷺ ، فيحفظه ويبلغه للناس ، ويأمر بكتابته ، فيقول : ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة وضعوا هذه الآية بإزاء تلك الآية فيُحفظ ما كُتِب في منزله ﷺ ، بعد أن ينسخ منه كتّاب الوحي نسخاً لأنفسهم .

وكتب القرآن الكريم في العسب واللخاف ، والرقاع ، وقطع الأديم ، وعظام الأكتاف والأضلاع ، ومن الصحابة من اكتفى بسماعه من فيه ﷺ فحفظه كله أو حفظ معظمه ، أو بعضاً منه ، ومنهم من كتب الآيات ، ومنهم من كتب السورة ومنهم من كتب السور ، ومنهم من كتبه كله ، فحفظ القرآن في عهده ﷺ في الصدور وفي السطور ، ومن أشهر كتّاب الوحي في عهد النبوة : الخلفاء الراشدون ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وقد شهد العرضة الأخيرة .

كتب القرآن الكريم كاملاً في عهد النبوة إلا أنه لم يُجمع في مصحف واحد لأسباب منها : ما كان يترقبه ﷺ من زيادة فيه ، أو نسخ منه ، ولأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعتنون بحفظه واستظهاره أكثر من عنايتهم بكتابته ، وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة وقعت معركة اليمامة المشهورة بين المرتدين بقيادة مسيلمة الكذاب ، والمسلمين بقيادة خالد بن الوليد واستحرّ القتل في المسلمين واستشهد منهم سبعون من القراء ؛ فارتاع عمر بن الخطاب وخاف ذهاب القرآن بذهاب هؤلاء القراء ، ففرع إلى أبي بكر الصديق ، وأشار عليه بجمع القرآن فخاف أبو بكر أن يضع نفسه في منزلة من يزيد احتياطه على الدين على احتياط رسول الله ﷺ ، فما زال متردداً حتى شرح الله صدره ، واطمأن إلى أن عمله مستمد من تشريع رسول الله ﷺ بكتابة القرآن .

وكان زيد بن ثابت مداوماً على كتابة الوحي لرسول الله ﷺ ، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن ، وكان ذا عقل راجح وعدالة وروية ، مشهوداً له بأنه أكثر الصحابة إتقاناً لحفظ القرآن ، ووعاء لحروفه ، وأداء لقراءته ، وضبطاً لإعرابه ولغاته ؛ فوقع عليه الاختيار رغم وجود من هو أكبر منه سناً ، وأقدم إسلاماً ، وأكثر فضلاً .

يقول زيد : (فإن الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن) فشرح الله صدر زيد كما شرح صدر أبي بكر ، ورغم حفظه وإتقانه ، إلا أنه أخذ يتتبع القرآن ، ويجمعه من العسب واللخاف والرقاع وغيرها مما كان مكتوباً بين يدي رسول الله ﷺ ، ومن صدور الرجال ، وكان لا يكتب

شيئاً حتى يشهد شاهدان على كتابته وسماعه من رسول الله ﷺ ، فرتبه على حسب العرضة الأخيرة التي شهدا مع رسول الله ﷺ وبقيت هذه الصحف في رعاية أبي بكر ، ثم في رعاية عمر ، ثم عند أم المؤمنين حفصة حتى أحرقت عندما كتبت مصاحف عثمان .

اتسعت الفتوح ، وانتشر الصحابة في الأمصار ، وأصبح أهل كل مصر يقرؤون بقراءة الصحابي الذي نزل في مصرهم ؛ ففي الشام بقراءة أبي بن كعب وفي الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود ، وفي البصرة بقراءة أبي موسى الأشعري وكان من الصحابة الذين استقروا في البلاد المفتوحة من لم يشهد العرضة الأخيرة على رسول الله ﷺ ، ولم يقف على ما نسخ من أحرف وقراءات في هذه العرضة ، بينما وقف صحابة آخرون على ذلك وكان كل صحابي يقرأ بما وقف عليه من القرآن ، فتلقى الناس عنهم ذلك ، فاختلفت قراءاتهم وخطأ بعضهم بعضاً وفي فتح أذربيجان وأرمينية ، في السنة الخامسة والعشرين من الهجرة اجتمع أهل الشام والعراق ، فتذاكروا القرآن ، واختلفوا فيه ، حتى كادت الفتنة تقع بينهم فكان حذيفة بن اليمان مشاركاً في هذا الفتح ؛ فذعر ذعراً شديداً ، وركب إلى في المدينة ، ولم يدخل داره حتى أتى عثمان ، فقال له : (يا أمير المؤمنين أدرك الناس قال : وما ذاك؟! قال : غزوت مَرَجَ أرمينية ، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام ، فيكفر بعضهم بعضاً) ، وكان عثمان قد وقع له مثل ذلك ، حتى إنه خطب في الناس وقال لهم : أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون ، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد فيه اختلافاً ، وأشد لحناً ، اجتمعوا يا أصحاب محمد ، واكتبوا للناس إماماً وكتب عثمان إلى حفصة : أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك فأرسلت بها .

يقول زيد بن ثابت : فأمرني عثمان بن عفان أن أكتب مصحفاً ، وقال : إني مُدْخِلُ معك رجلاً لبيباً فصيحاً ، فما اجتمعتما عليه فاكتباه ، وما اختلفتما فيه فارفعاه إليّ .

وفي رواية عن مصعب بن سعد فقال عثمان : من أكتب الناس ؟ قالوا : كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت قال : فأبي الناس أعرب- وفي رواية أفصح - ؟ قالوا : سعيد بن العاص قال : فليُملِّ سعيد ، وليكتب زيد .

يقول زيد بن ثابت: فلما بلغنا: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ .

البقرة آية رقم ٢٤٨- قال زيد : فقلت (التابوة) ، وقال سعيد : (التابوت) ، فرفعناه إلى عثمان ، فكتب (التابوت) ؛ لأنها من لغة قريش التي نزل القرآن بلسانها . فرغ زيد من كتابة المصحف، فعرضه عرضة فلم يجد فيه قوله تعالى في سورة الأحزاب آية رقم ٢٣ :

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ حُبَّهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿١٢٨﴾ .

فلم يجدها عند المهاجرين ولم يجدها عند الأنصار فوجدها عند خزيمة بن ثابت ثم عرضه عرضة أخرى فلم يجد قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم ١٢٨ : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ .

فاستعرض المهاجرين فلم يجدها عندهم ، واستعرض الأنصار فلم يجدها عندهم ، حتى وجدها مع رجل آخر يدعى خزيمة الأنصاري أيضاً ، فأثبتها ثم عرضه عرضة ثالثة فلم يجد فيه شيئاً فعرض عثمان المصحف على صحف حفصة ، فلم يختلفا في شيء ، فقررت نفسه ﷺ .

وفي رواية لمحمد بن سيرين : أن عثمان جمع لكتابة المصحف اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار ، منهم زيد بن ثابت ، وفي روايات متفرقة منهم : مالك بن أبي عامر (جدّ مالك بن أنس) وكثير بن أفلح ، وأبي بن كعب ، وأنس بن مالك

وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

يقول ابن حجر: (وكان ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد للمعنى المذكور فيهما في رواية مصعب ثم احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي ترسل للآفاق فأضافوا إلى زيد من ذكر ، ثم استظهروا بأبي بن كعب في الإملاء) .

اختلفت الروايات في عدد المصاحف التي كتبها عثمان ، فالمشهور أنها خمسة ، وورد أنها أربعة ، وورد أنها سبعة ، بعث بها إلى مكة ، والشام ، واليمن والبحرين ، والبصرة والكوفة ، وأبقى واحداً بالمدينة سُمي (المصحف الإمام) أمر عثمان بما سوى المصحف الذي كتبه والمصاحف التي استكتبها منه أن تحرق أو تحرق (أي تدفن).

وهكذا كان الجمع الثاني للقرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه ، أشرف عليه بنفسه بمشاركة كبار الصحابة رضوان الله عليهم وموافقتهم وإجماعهم ، فجمع بهذا العمل الجليل كلمة المسلمين ، وحسم ما ظهر بينهم من خلاف .

نَقَطُ المصحف الشريف :

كُتِبَتْ مصاحف عثمان خالية من النقط والشكل؛ حتى تحتل قراءتها الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وعندما أرسلها إلى الأمصار رضي بها الجميع ، ونسخوا على غرارها مصاحف كثيرة خالية من النقط والشكل واستمروا على ذلك أكثر من أربعين سنة .

وخلال هذه الفترة توسعت الفتوح ، ودخلت أمم كثيرة لا تتكلم العربية في الإسلام ؛ فتفتشت العجمة بين الناس، وكثر اللحن، حتى بين العرب أنفسهم ؛ بسبب كثرة اختلاطهم ومصاهرتهم للعجم ، ولما كان المصحف الشريف غير منقوط خشي ولادة أمر المسلمين عليه أن يتطرق له اللحن والتحريف ، وكان أول من التفت إلى نقط المصحف الشريف هو زياد بن أبيه ؛ ولذلك قصة :

وهي : أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد عندما كان والياً على البصرة (٤٥-٥٣ هـ) أن يبعث إليه ابنه عبيد الله ، ولما دخل عليه وجده يلحن في كلامه ، فكتب إلى زياد يلومه على وقوع ابنه في اللحن ، فبعث زياد إلى أبي الأسود الدؤلي يقول له : (إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب ، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله) ، فاعتذر أبو الأسود فلجأ زياد إلى حيلة ؛ بأن وضع في طريقه رجلاً وقال له: إذا مرّ بك أبو الأسود فاقرأ شيئاً من القرآن ، وتعمد اللحن فيه ، فلما مرّ به قرأ قوله تعالى :

(إن الله بريء من المشركين ورسوله) ، بجرّ لام رسوله ، فشق ذلك على أبي الأسود وقال: (عزّ وجه الله أن يتبرأ من رسوله)، وقال لزياد : (قد أجبتك إلى ما طلبت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن)، واختار رجلاً من عبد القيس ، وقال له: (خذ المصحف وصيغاً يخالف لون المداد ، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله ، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف (أي أمامه)، فإذا أتبت شيئاً من هذه الحركات غنة (أي تنويناً) ، فانقط نقطتين) فأخذ أبو الأسود يقرأ المصحف بالتأني، والكاتب يضع النقط ، واستمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله ، وكان كلما أتم الكاتب صحيفة أعاد أبو الأسود نظره فيها ، وجاء تلاميذ أبي الأسود بعده ، وتفننوا في شكل النقطة؛ فمنهم من جعلها مربعة ، ومنهم من جعلها مدورة مطموسة الوسط ، ومنهم من جعلها مدورة خالية الوسط ، وكانوا لا يضعون شيئاً أمام الحرف الساكن ، أما إذا كان منوناً فيضعون نقطتين فوقه ، أو تحته ، أو عن شماله ؛ واحدة للدلالة على أن النون مدغمة أو خفية ، وفي تطور لاحق وضعوا للسكون جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه وجعلوا علامة الحرف المشدد كالقوس، ولألف الوصل جرة متصلة بها في أعلاها إذا كان قبلها فتحة ، وفي أسفلها إذا كان قبلها كسرة ، وفي وسطها إذا كان قبلها ضمة هكذا (آ ؟) ، وذلك باللون الأحمر .

وكان هذا النقط يُسمى شكلاً ، أو ضبطاً ؛ لأنه يدل على شكل الحرف وصورته ، وما يعرض له من حركة ، أو سكون ، أو شد ، أو مد ، ونحو ذلك وكانت الآراء مختلفة في أول من وضع هذا النقط ، إلا أن أكثر هذه الآراء يذهب إلى أن

المخترع الأول لهذا النوع من النقط هو أبو الأسود الدؤلي ، كما كانت الآراء مختلفة بين جوازه والأخذ به ، وكرهته والرغبة عنه ؛ جوازه لما فيه من البيان والضبط والتقيد ، وكرهته ؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم عندما جمعوا القرآن ، وكتبوا المصاحف جردوها من النقط والشكل ، فلو كان مطلوباً لما جردوها .

يقول الفلقشندی: (وأما أهل التوقيع في زماننا فإنهم يرغبون عنه — أي النقط — ؛ خشية الإطلام بالنقط والشكل ، إلا ما فيه إلباس على ما مر ، وأهل الديونة لا يرون بشيء من ذلك أصلاً ، ويعدون ذلك من عيوب الكتابة ، وإن دعت الحاجة إليه) .

أما نقط الإعجام ، فهو ما يدل على ذات الحرف ، ويميز المتشابه منه لمنع العجمة أو اللبس كحروف الباء والتاء والثاء والياء ، والجيم والحاء والخاء والراء والزاي ، والسين والشين ، والعين والغين ، والفاء والقاف ، ونحوها مما يتفق في الرسم ويختلف في النطق ، فقد دعت الحاجة إليه عندما كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم ، وكثر التصحيف في لغة العرب ، وخيف على القرآن أن تمتد له يد العبث ، واختلفت الآراء في أول من أخذ بهذا النقط وأرجحها في ذلك ما ذهب إلى أن أول من قام به هما: نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ؛ وذلك عندما أمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق (٧٥-٩٥هـ) أن يضع علاجاً لمشكلة نقشي العجمة ، وكثرة التصحيف فاختر كلاً من نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر لهذه المهمة لأنهما أعرف أهل عصرهما بعلوم العربية وأسرارها ، وفنون القراءات وتوجيهها .

وبعد البحث والتروي ، قررا إحياء نقط الإعجام ، وقررا الأخذ بالإهمال والإعجام مثلاً: الدال والذال ، تهمل الأولى وتعجم الثانية بنقطة واحدة فوقية وكذلك الراء والزاي ، والصاد والضاد ، والطاء والظاء ، والعين والغين ، أما السين والشين ، فأهملت الأولى وأعجمت الثانية بثلاث نقط فوقية ؛ لأنها ثلاث أسنان ، فلو أعجمت الثانية واحدة لتوهم متوهم أن الحرف الذي تحت النقطة نون والباقي حرفان مثل الباء والتاء تسوهم في إعجامهما .

أما الباء والتاء والثاء والنون والياء ، فأعجمت كلها ، والجيم والحاء والخاء أعجمت الجيم والحاء ، وأهملت الحاء ، أما الفاء والقاف ، فإن القياس أن تهمل الأولى وتعجم الثانية ، إلا أن المشاركة نقطوا الفاء بواحدة فوقية ، والقاف باثنتين فوقيتين أيضاً ، أما المغاربة فذهبوا إلى نقط الفاء بواحدة تحتية ، والقاف بواحدة فوقية .. وهكذا كان نقط الإعجام في بقية الأحرف .

وقد أخذ نقط الإعجام في بدايته شكل التدوير ، ثم تطور بعد ذلك وأخذ شكل المربع ، وشكل المدور المظموس الوسط ، كما استخدمت الجرة الصغيرة فوق الحرف وتحتة .

وكتب هذا النوع من النقط بلون مداد المصحف ؛ حتى لا يشتبه بنقط الإعراب ، واستمر الوضع على ذلك حتى نهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، حيث تقفن الناس خلال هذه الفترة في اتخاذ الألوان في نقط مصاحفهم ، ففي المدينة استخدموا السواد للحروف ونقط الإعجام ، والحمرة للحركات والسكون والتشديد والتخفيف ، والصفرة للهمزات وفي الأندلس استخدموا أربعة ألوان : السواد للحروف ، والحمرة لنقط الإعراب ، والصفرة للهمزات ، والخضرة لألفات الوصل ، أما في العراق فاستخدموا السواد لكتابة حروف المصحف ونقط الإعجام ، والحمرة لنقط الإعراب (الحركات والهمزات) واستخدم في بعض المصاحف الخاصة الحمرة للرفع والخفض والنصب والخضرة للهمزة المجردة ، والصفرة للهمزة المشددة ، فاستخدام السواد كان عند الجميع لحروف المصحف ونقط الإعجام ، والألوان الأخرى لغيرهما .

امتألت المصاحف بالألوان المتعددة (التي أصبحت عبئاً على عقل القارئ وصعوبة على قلم الكاتب) ، وكان النقط جميعه مدوراً سواء نقط الإعراب أو الإعجام ، فوقع الناس في الخلط بين الحروف ، واتفقت الآراء على أن يجعل نقط الإعراب (الشكل) بمداد الكتابة نفسه تيسيراً على الناس .

فأخذ إمام اللغة : الخليل بن أحمد الفراهيدي على عاتقه القيام بهذا العمل ؛ فجعل الفتحة ألفاً صغيرة مضطجة فوق الحرف ، والكسرة ياء صغيرة تحتة ، والضمة واواً صغيرة فوقه وإن كان الحرف منوَّناً كرر الحرف ، وجعل ما فيه إدغام من

السكون الشديد رأس شين بغير نقط (سد) ، وما ليس فيه إدغام من السكون الخفيف رأس خاء بلا نقط (د) والهمزة رأس عين (ع) ، وفوق ألف الوصل رأس صاد (صد)، وللمد الواجب ميماً صغيرة مع جزء من الدال (مد) .
يقول الدالي : (وبهذا وضع الخليل ثماني علامات : الفتحة ، والضمة ، والكسرة والسكون والشدة ، والمدة ، والصلة ، والهمزة ، وبهذه الطريقة أمكن أن يجمع بين الكتابة والإعجام والشكل بلون واحد) .

تجويد الخط العربي:

جاء في الفهرست : أن أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ووصف بحسن الخط (خالد بن أبي الهياج) ، وكان كاتباً للوليد بن عبد الملك (٨٦-٨٩هـ/٧٠٥-٧٠٨م) ، كتب له المصاحف والأشعار والأخبار ، وهو الذي كتب في قبلة المسجد النبوي بالذهب من (والشمس وضحاها) إلى آخر القرآن وكان عمر بن عبد العزيز ممن أطلع على خطّه وأعجب به ، وطلب منه أن يكتب له مصحفاً تفنّن في خطه ، فقلّب عمر واستحسنه إلا أنه استكثر ثمنه فردّه عليه ثم جاء بعده (مالك بن دينار) ، وهو مولى لأسامة بن لؤي بن غالب ويكنى بأبي يحيى ، واشتهر بتجويد الخط ، وكتب المصاحف مقابل أجر كان يتقاضاه .

وممن اشتهر بتجويد الخط في العصر الأموي أيضاً (قطبة المحرّر) وهو من كتاب الدولة يقول عنه ابن النديم : (استخرج الأقلام الأربعة ، واشتق بعضها من بعض ، وكان قطبة من أكتب الناس على الأرض بالعربية) ، وإليه ينسب تحويل الخط العربي من الكوفي إلى الخط الذي هو عليه الآن ، أما في العصر العباسي ، وفي خلافة أبي العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ / ٧٤٩-٧٥٤م) فقد انتهت جودة الخط إلى (الضحاك بن عجلان) يقول ابن النديم: (فزاد على قطبة، فكان بعده أكتب الخلق)، وممن جودّ الخط في عهدي المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) والمهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) (إسحاق بن حمّاد) الذي زاد في تجويده على (الضحاك بن عجلان)، وظل الخط العربي يرقى ويتنوع حتى وصل إلى عشرين نوعاً على رأس المائة الثالثة من الهجرة عندما انتهت رئاسة الخط إلى الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلة ، وأخيه أبي عبد الله الحسن بن علي

يقول ابن النديم : (وهذان رجلان لم يُرَ مثلهما في الماضي إلى وقتنا هذا وعلى خط أبيهما مقلة كتباً.. وقد كتب في زمانهما جماعة وبعدهما من أهلهم وأولادهم ، فلم يقربوهما ، وإنما ينذر للواحد منهما الحرف بعد الحرف والكلمة بعد الكلمة ، وإنما الكمال كان لأبي علي وأبي عبد الله.. ورأيت مصحفاً بخط جدهما مقلة) ، قام الوزير ابن مقلة بحصر الأنواع التي وصل إليها الخط العربي في عصره إلى ستة أنواع هي : التثنية ، والنسخ ، والتوقيع ، والريحان ، والمحقق والرقاع ، وهو الذي أكمل ما بدأه قطبة المحرر من تحويل الخط الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن ، وأول من قدّر مقاييس وأبعاد النقط ، وأحكم ضبطها وهندستها ، ومع نهاية القرن الرابع الهجري ، وبداية القرن الخامس الهجري انتقلت رئاسة الخط العربي إلى أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي المعروف بابن البواب ، أو بابن الستري ، وكان حافظاً للقرآن ، وكان يقال له : الناقل الأول ؛ لأنه هذب وعظم وصحّ خطوط ابن مقلة في النسخ والتثنية اللذين قلبهما من الخط الكوفي واخترع ابن البواب عدّة أقلام ، وبلغ في جودة الخط مبلغاً عظيماً ، لم يبلغه أحد مثله .

وفي القرن السابع الهجري انتهت رئاسة الخط إلى عدد من الخطاطين منهم : ياقوت بن عبد الله الموصلّي أمين الدين الملكي ، المتوفى سنة ٦١٨ هـ ، كاتب السلطان ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥ هـ/١٠٧٢-١٠٩٢ م) ، وقد أخذ الخط عن الشيخة المحدثّة الكاتبة (شهدة بنت أحمد الإبري الدينوري) ، المتوفاة ببغداد سنة ٧٥٤ هـ وهي ممن أخذ الخط عن ابن البواب ، وكان ياقوت الموصلّي مولعاً بنسخ معجم "الصاح" ، للجوهري ، وكتب منه نسخاً كثيرة باع النسخة بمائة دينار ، ومنهم ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، شهاب الدين ، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، صاحب كتاب (معجم البلدان) ، وكتاب (معجم الأدباء) ، ومنهم ياقوت بن عبد الله الرومي المستعصمي ، المتوفى ببغداد سنة ٦٩٨ هـ ، وهو من أشهر من جوّد الخط في ذلك الزمن ، قلّد ابن مقلة ، وابن البواب ، وكان أديباً شاعراً خازناً بدار الكتب المستنصرية ، يقول عنه طاش كبري زاده: (وهو الذي طبق الأرض شرقاً وغرباً اسمه ، وسار ذكره مسير الأمطار في الأمصار ، وأذن لصنعتة الكل ، واعترفوا

بالعجز عن مدانة رتبته فضلاً عن الوصول إليها ؛ لأنه سحر في الكتابة سحراً
لو رآه السامري لقال : إن هذا سحر حلال) .

وكان ياقوت المستعصي يمثل نهاية الاحتكار العراقي للخط المجوّد المنسوب ،
حيث أخذت المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي تنافس بغداد في الاهتمام
بالخط وتجويده . ففي مصر عُرف تجويد الخط منذ عصر الدولة الطولونية
(٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م) وفي العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م)
وصلت إلى مستوى المنافسة مع بغداد عاصمة العباسيين ، واستمرت كذلك في
عصر الأيوبيين (٥٦٩-٦٥٠هـ/ ١١٧٤-١٢٥٢م) إلى أن جاء العصر المملوكي
(٦٤٨-٩٣٢هـ/ ١٢٢٠-١٥١٧م) ، حيث بلغت مركز الصدارة وظهرت فيها كتبٌ
تناولت نظريات فن الخط وتعليمه ، مثل : مقدمة ابن خلدون ، وصبح الأعشى
للقلقشندي .

وفي شمال الشام تطور فن الخط منذ أواخر القرن الخامس الهجري ، وأجاد
السوريون الشماليون خط النسخ ، وخط الطومار ومشتقاته .
وفي تركيا ، حيث قامت الدولة العثمانية (٦٩٩-١٣٤١هـ/ ١٢٩٩-١٩٢٢م) بلغت
العناية بتجويد الخط حداً بعيداً ، وأنشئت في الآستانة سنة ١٣٢٦هـ أول مدرسة
خاصة لتعليم الخط والنقش والتذهيب ، وطوّروا ما أخذوه من مدارس سبقتهم في
تجويد الخط ؛ مثل : قلم التلث والتلثين اللذين أخذوهما من المدرسة المصرية ،
وخط النسخ من السلاجقة ، بل وزادوا على ذلك أقلاماً جديدة لأول مرة ؛ مثل
الرقعة ، والديواني ، وجلي الديواني ، وتفردوا أيضاً بخط أط غراء وهو في
أصله توقيع سلطاني ، وخط الإجازة وهو يجمع بين النسخ والتلث والهمايوني ،
وهو خط مؤكّد عن الديواني .

لم يتفوق الأتراك العثمانيون في الخط فقط ، بل وفي تذهيب المصاحف وزخرفتها
، ولا زال الأتراك ممسكين بزمام التفوق في تطور الخط العربي حتى سنة
١٣٤٢هـ عندما استبدلوا بالحرف العربي الحرف اللاتيني ، حيث انتقل قياد التفوق
الخطي إلى مصر مرة أخرى .

فقد استقدم الملك فؤاد (١٣٣٥-١٣٥٥هـ/١٩١٧-١٩٣٦م) في سنة ١٩٢١م أشهر الخطاطين في الآستانة ، وهو الشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي ، فكتب له مصحفاً في ستة شهور ، وزخرفه في ثمانية شهور ، وفي منتصف شهر أكتوبر سنة ١٩٢٢م فُتحت مدرسة لتعليم الخطوط العربية ، وكان في مقدمة أساتذتها الشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي وقد تخرجت أول دفعة في هذه المدرسة في يونيه سنة ١٩٢٥م ، وبعد فترة ألحق بها قسم في فن الزخرفة والتذهيب .

استقطبت مصر عدداً من الخطاطين الأتراك منهم : عبد الله بك الزهدي ومحمد عبد العزيز الرفاعي، وأحمد كامل ، تخرج على أيديهم عدد من الخطاطين المصريين ، وغيرهم من مختلف البلاد الإسلامية. وفي إيران لم تكن العناية بالخط العربي ، وكتابة المصاحف أقل منها في تركيا ، ونبغ الإيرانيون في مجال التذهيب ، حتى تفوقوا على الأتراك في هذا الفن ، كما عرفوا خطوطاً خاصة بهم منها : خط الشكسته، وهو أقدم خط عرفه الفرس ، وخط التعليق ، وهو خط فارسي ظهر في أواخر القرن السابع الهجري وخط النسخ تعليق الذي يجمع بين خطي النسخ والتعليق ، الذي ظهر في القرن التاسع الهجري ، وفي الوقت الذي أخذ فيه الأتراك عن الفرس خط التعليق وبرعوا فيه ، فإن الفرس لم ينجحوا في إجادة الخط الديواني الذي أخذوه من الأتراك ، أما شمال إفريقيا فقد انتقل الخط إليها عن طريق المدينة ، ثم الشام فعُرف الخط المغربي ، وانتشر في شمال إفريقيا ووسطها وغربها وفي الأندلس ومن الخطوط التي ظهرت في هذا الجزء من العالم الإسلامي خط القيروان الذي اتخذ الخط الكوفي أساساً له وخط المهدية ، وخط الأندلس الذي احتل المكانة الأولى في كل شمال إفريقيا في أواخر عهد الموحدين (٥٢٤-٦٦٨هـ / ١١٣٠-١٢٦٩م) (١)، ثم ظهر الخط الفاسي ، ثم ظهر الخط السوداني الذي عرف اعتباراً من القرن السابع الهجري ، وفي الجناح

(١) (يراجع البحث المقدم من الأستاذ الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي ، الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، بعنوان : "تطور كتابة المصحف الشريف وطابعته وعناية المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره وترجمة معانيه") .

الشرقي من البلاد الإسلامية كان الغزنويون ، والسلاجقة العظام لا يقلون اهتماماً بالخط عن نظرائهم في البلاد الإسلامية الأخرى ، ومثلهم في ذلك الإيلخانيون ، والتموريون ، والجلائرون في القرنين السابع والثامن الهجريين ، وللمصحف العثماني قواعد في خطه ورسمه ، حصرها علماء الفن في ست قواعد وهي الحذف ، والزيادة ، والهمز ، والبدل ، والفصل والوصل ، وما فيه قراءتان فقرء على إحداهما، وهاك شيئاً عنها بالإجمال ، ليكون الفرق بينهما وبين مصطلح الخطوط في عصرنا على بال منك .

قاعدة الحذف

خلاصتها أن الألف من ياء النداء نحو **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** :

في البقرة ٢١: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ .

ومن ها التنبيه نحو **هَآأَنَّمْ** في آل عمران ٦٦ :

﴿ **هَآأَنَّمْ هَآؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ .

ومن كلمة نا إذا وليها ضمير نحو **أُنْجَيْنَكُمْ** في الأعراف ١٤٢ :

﴿ **وَإِذْ أُنْجَيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَآلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ .

ومن لفظ الجلالة ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ .

ومن كلمة ﴿ **إِلَه** ﴾ ومن لفظي ﴿ **الرَّحْمَن** و **سُبْحَن** ﴾ .

وبعد لام نحو كلمة **خَلَفَ** في الأعراف ١٢٤ ﴿ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَا صَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

وبين اللامين **الْكَلَلَةُ** في نحو النساء ١٧٦ ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ ﴾ إِنَّ أَمْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ .

ومن كل مثني نحو **رَجُلَانِ** في المائدة ٣٣ ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

ومن كل جمع صحيح لمذكر أو لمؤنث نحو **النَّصْرَى** في التوبة ٣٠ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتُمُوهُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ .
والأحزاب ٤٩ ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْ تَعَوَّهِنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ .

ومن كل جمع على وزن مفاعل وشبهه نحو **المساجد** في الجن ١٨ ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ .

ومن كل عدد نحو ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ .
ومن البسملة ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

وغير ذلك (إلا ما استثنى من هذا كله).
وتحذف الياء من كل منقوص منون رفعا وجرا ، نحو:

بَاغٍ وَلَا عَادٍ في البقرة ١٧٣ ﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرِ **بَاغٍ وَلَا عَادٍ** فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٤﴾

ومن هذه الكلمات **وَأَطِيعُونَ** في آل عمران ٥٠ ﴿٥٠﴾ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ **وَأَطِيعُونَ** ﴿٥١﴾

وَاتَّقُونَ في البقرة ٤٢ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي **فَاتَّقُونَ** ﴿٤٣﴾ البقرة ١٩٧ ﴿١٩٧﴾ وَتَزُودُوا فِي رِبِّ خَيْرَ الزَّادِ اتَّقُوا **وَاتَّقُونَ** يَتَأُولَى الْآلِبِ ﴿١٩٨﴾

وَخَافُونَ في آل عمران ١٧٥ ﴿١٧٥﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ **وَخَافُونَ** إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾

و **فَارْهَبُونَ** في البقرة ٤٠ ﴿٤٠﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي **فَارْهَبُونَ** ﴿٤١﴾

و **فَارْسَلُونِ** في يوسف ٤٥ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ **فَارْسَلُونِ** ﴿٤٦﴾

و **فَاعْبُدُونِ** في الأنبياء ٢٥ ﴿٢٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا **فَاعْبُدُونِ** ﴿٢٦﴾ (إلا ما استثنى) .

وتحذف الواو : إذا وقعت مع واو أخرى في الكهف ١٩ نحو ﴿١٩﴾ وَإِذِ اعْرَظَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ **فَأَوْرَا** إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ۚ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا ﴿٢٠﴾

والتوبة ١٩ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وتحذف اللام : إذا كانت مدغمة في مثلها نحو :

الأنعام ١٣ ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .
والذي في البقرة ١٧ ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إلا ما استثنى .

وهناك حذف لا يدخل تحت القاعدة السابقة كحذف الألف من كلمة **مَلِك** في الفاتحة ﴿ **مَلِك** يَوْمِ الدِّينِ ﴾ . وكحذف الياء من ﴿ **إِثْرَهُمْ** ﴾ وكحذف الواو من هذه الأفعال الأربعة:

الإسراء ١١:

﴿ **وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ** وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾

الشورى ٢٤:

﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ تُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ **وَيَمْحُ اللَّهُ** **الْبَاطِلَ** وَتُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .
والقمر ٦ ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ **يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ** إِلَى شَيْءٍ نَكُورٍ ﴾ .
العلق ١٨ ﴿ **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ** **سَدْعُ** **الزَّبَانِيَةِ** ﴾ .

قاعدة الزيادة

خلاصتها أن الألف تزداد بعد الواو في آخر كل اسم مجموع أو في حكم المجموع ، نحو **مُلَقُوا رَبِّهِمْ** في البقرة ٤٦ ﴿٤٦﴾ **مُلَقُوا رَبِّهِمْ** ، **مُلَقُوا رَبِّهِمْ** وأنهم إليه رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾

نحو **أُولُوا الْأَلْبَابِ** في البقرة ٢٩٦ ﴿٢٩٦﴾ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ** وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا **أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴿٢٩٦﴾

وبعد الهمزة المرسومة واوا نحو (تالله تفتأ) فإنها ترسم هكذا **تَفْتَأُ** : ﴿٢٩٦﴾ **قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ** تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٢٩٦﴾

وفي كلمات **مائة** ، **مائتين** ففي قوله تعالى في الكهف ٧٥ ﴿٧٥﴾ **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ** وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٧٥﴾ .

وفي الأنفال ٦٥ ﴿٦٥﴾ **يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا **مائتين** وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ .

وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا في الأحزاب ١٠ ﴿١٠﴾ **إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ** وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ **وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا** ﴿١٠﴾

، **وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ** في الأحزاب ٦٦ ﴿٦٦﴾ **يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيَّتْنَا** **أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ** ﴿٦٦﴾ ، **فَأَضْلُوا السَّبِيلَ** في الأحزاب ٧٦ ﴿٧٦﴾ **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ** ﴿٧٦﴾ .

وتزداد الياء في الكلمات التالية :

نَبَأِي فِي الْأَنْعَامِ ٣٤ ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا
وَأُودُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَأِي

الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾

ءَانَايَ فِي طه ١٣٠ ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَايَ الْيَلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣١﴾
مِنْ تَلْقَايَ فِي يونس ١٥ ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَايَ نَفْسِي إِنَّ
أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾

بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونَ فِي الْقلم ٦ ﴿ بِأَيِّكُمْ أَلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾

بِأَيِّدٍ فِي الذَّارِيَاتِ ٤٧ ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيِّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٨﴾

وتزاد الواو في نحو

أُولُوا فِي آل عمران ٧ ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

وَأُولَيْكَ فِي البقرة ٥

﴿ وَأُولَيْكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

أُولَاءَ فِي طه ٨٤ ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٥﴾

وَأُولَتْ فِي الطلاق ٤ ﴿ وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿٤﴾

قاعدة الهمز

خلاصتها أن الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها نحو:

أُذِّنَ التوبة ٤٩ ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾

وَأَوْثَمِينَ فِي الْبَقَرَةِ ٢٨٣ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴿٥١﴾ .

الْبَأْسَاءُ فِي الْبَقَرَةِ ٢١٤ ﴿٥٠﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٥١﴾ . إِلَّا مَا اسْتَنْتَى .

أما الهمزة المتحركة فان كانت أول الكلمة واتصل بها حرف زائد ، كتبت بالالف مطلقا ، سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة نحو **أَيُّوب** في ص ٤١ :

﴿٥٠﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا **أَيُّوبَ** إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٥١﴾ .
وَأُولُوا فِي النِّسَاءِ ٨ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ **أُولُوا** الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥١﴾ .

وَسَأَصْرِفُ فِي الْأَعْرَافِ ١٤٦

﴿٥٠﴾ **سَأَصْرِفُ** عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٥١﴾ .

وَسَأُنْزِلُ فِي الْأَنْعَامِ ٩٣ ﴿٥٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ **سَأُنْزِلُ** مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿٥١﴾ .

وَفَبِأَيِّ فِي الرَّحْمَنِ ١٣ ﴿٥٠﴾ **فَبِأَيِّ** ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ .

وَإِذَا فِي النَّصْرِ ١ ﴿٥٠﴾ **إِذَا** جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿٥١﴾ . إِلَّا مَا اسْتَنْتَى .

وان كانت الهمزة وسطا، فإنها تكتب بحرف من جنس حركتها نحو أول المعارج ﴿٥٠﴾ **سَأَلْ** سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿٥١﴾ .

و لَتَقْرَأَهُ فِي الْإِسْرَاءِ ١٠٦ :

﴿ وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ ١٦٦ .

مِلء في آل عمران ٩١ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا

وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ ٩١ .

إلا ما استثنى .

وان كانت متطرفة كتبت بحرف من جنس حركة ما قبلها نحو :

لِسَبَا في سبأ ١٥ ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَا فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ

كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ ١٥ .

و شَطِي في القصص ٣٠ ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي

الْبُقْعَةِ الْمُبَرَكََةِ أَنْ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٣٠ .

و لَوْلُو في الطور ٢٤ ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُو مَكْنُونٌ ﴾ ٢٤ .

إلا ما استثنى

وان سكن ما قبلها حذفت نحو يخرج الحَبء في النمل ٢٥ :

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَرَجَ الْحَبءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ

وَمَا تَعْلُنُونَ ﴾ ٢٥ . إلا ما استثنى والمستثنيات كثيرة في الكل .

قاعدة البدل

خلاصتها أن الألف تكتب واواً على الأصل وذلك للتفخيم في مثل الصَّلوة و

الزَّكوة ، كما هو في :

المائدة ٥٥ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾

ومثل الرِّبَا في آل عمران ١٣٠ :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ . وترسم باء إذا كانت منقلبة عن ياء

وَالْحَيَاةُ في آل عمران ١٤ :

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ (إلا ما استثنى)،

نحو يَتَوَفَّنُكُمْ في السجدة ١١ :

﴿ قُلْ يَتَوَفَّنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

وَيَحْسَرْتِي في الزمر ٥٦ : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ

اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

و يَتَأَسَفِي في يوسف ٥٤ : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأَسَفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبِيضَتْ

عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٤﴾ . وكذلك ترسم الألف ياء في هذه الكلمات

إِلَى في البقرة ١٤ ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ

قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ .

عَلَى في البقرة ٥ ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ .

أَنَّى (بمعنى كيف ؟) في آل عمران ٤٠ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤١﴾
 مَتَّى في يونس ٤٨ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَّى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٩﴾
 حَتَّى في البقرة ٥٥ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾
 بَلَى في البقرة ٨١ ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾
 لَدَى في غافر ١٨ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٩﴾ ما عدا لَدَا الْبَابِ في سورة يوسف ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ ، فإنها ترسم ألف.

وترسم النون في نون التوكيد الخفيفة، في كلمة ﴿بِإِذْنِ﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ جَاءُوكَ فَاستَغْفَرُوا اللَّهَ وَاستغفر لهم الرسول لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ﴿٢١﴾
 ، وترسم هاء التانيث تاء مفتوحة في ﴿لَعَنَتْ﴾ الله البقرة ١٦١ ، آل عمران ٦١ ، والأعراف ٤٤ ، وهود ١٨ .

ففي آل عمران ٦١ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٦٢﴾

في كلمة **رَحِمْتُ** بالبقرة ٢١٨ والأعراف ٥٦، وهود ٧٣ والروم ٥٠

ففي هود ٧٣ ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ **رَحِمْتُ** اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾

وفي كلمة **نِعَمْتُ** بالبقرة ٢٣١، وآل عمران ١٠٣، والمائدة ١١، وإبراهيم ٣٤ والنحل ٨٣ وفاطر ٣، ففي النحل ٨٣ ﴿يَعْرِفُونَ **نِعْمَتَ** اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

وفي كلمة **وَمَعْصِيَتِ** بسورة المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا يَهَوُا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ **وَمَعْصِيَتِ** الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

وفي هذه الكلمات: شَجَرَتْ، قُرْتُ، بَقِيَّتِ .

في الدخان ٤٣ ﴿إِنَّ **شَجَرَتِ** الزُّقُومِ﴾ .

في القصص ٩ ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ **قُرْتُ** عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

في هود ٨٦ ﴿**بَقِيَّتُ** اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

وفي كلمة امرأة أضيفت إلى زوجها نحو ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ **عِمْرَانَ** رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ

لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

﴿**صَرَبَ** اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ

مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠٩﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا **أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ** إِذْ قَالَتْ رَبِّ
 ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿١١٠﴾ وَرَمِيمَ **ابْنَتِ عِمْرَانَ** الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
 وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١١١﴾ .

وفي غير ذلك

قاعدة الوصل الفصل

خلاصتها أن كلمة (أن) بفتح الهمزة توصل بكلمة (لا) إذا وقعت بعدها ،
 ويستثنى من ذلك عشرة مواضع ، منها ما هو في الأعراف ١٠٩ :

﴿ **أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ**
 وَالْدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٠﴾ . ﴾

﴿ **أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿١١١﴾ .** ﴾

وكلمة (من) توصل بكلمة (ما) إذا وقعت بعدها ، ويستثنى ما هو في الروم ٢٨
 والمنافقون ١٠ ، ففي الروم ٢٨ :

﴿ **ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي
 مَا رَزَقْنَكُمْ فَأنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ .** ﴾

وفي المنافقون ﴿ **وَأَنفِقُوا مِّنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ۚ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٩﴾ . ﴾

وكلمة (من) توصل بكلمة (ما) مطلقا وكلمة (أن) بالفتح توصل بكلمة (ما) مطلقا
 من غير استثناء ، وكلمة (عن) توصل بكلمة (ما) التي بعدها :

إلا قوله ﷺ في الأعراف ١٦٦ ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا مُهُُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

وكلمة (إن) بالكسر توصل بكلمة (ما) التي بعدها، إلا قوله ﷺ في الرعد ٤٠ ﴿ وَإِنْ مَا تُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ .

وكلمة (كل) توصل بكلمة (ما) التي بعدها ، إلا قوله ﷺ في النساء ٩١

﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنَّ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخَذُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ .
وفي إبراهيم ٤٣ ﴿ وَءَاتَيْنَاكَ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ .

وتوصل كلمات **نِعْمًا** في النساء ٣٨ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ . و **رُبَّمَا** في الحجر ٢ ﴿ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ . و **كَأَنَّمَا** في الأنفال ٦ ﴿ تَجِدِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ .

و **وَيَكُنَّ** في القصص ٨٢ ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَيَكُنَّ لَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ونحوها .

قاعدة ما فيه قراءتان

خلاصتها أن الكلمة إذا قرئت على وجهين ، تكتب برسم أحدهما كما رسمت الكلمات الآتية بلا ألف في المصحف وهي **مَلِك** ، **تُخَدِّعُونَ** ، **وَأَعَدَّنَا** ،

تُفْضِدُوهُمْ علي النحو التالي : ﴿ **مَلِك** يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٠﴾ ﴾ في فاتحة الكتاب .

﴿ **تُخَدِّعُونَ** اللَّهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

﴿١١﴾ وَإِذْ **وَأَعَدَّنَا** مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

ظَالِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ وَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ

مِّن دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ **تُفْضِدُوهُمْ** وَهُوَ

مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴿١٤﴾ وكلها في البقرة ، ونحوها .

وكلها مقروءة بإثبات الألف وحذفها .

وكذلك رسمت الكلمات الآتية بالتاء المفتوحة :

وهي **غَيْبَتِ الْجُبِّ** في يوسف ١١ ﴿١٢﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ

وَأَلْقُوهُ فِي **غَيْبَتِ الْجُبِّ** يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

وفي العنكبوت 50 ﴿٥١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ **ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ** ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ

عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٢﴾ . وفي فصلت ٤٧ ﴿٤٨﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ

السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ **ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامٍهَا** وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَالٍ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِى قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٩﴾ . وفي سبأ

٣٧ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ

صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي **الْعُرْفَةِ** ءَامِنُونَ ﴿٣٩﴾ .

وذلك لأنها جمعاء مقروءة بالجمع والإفراد وغير هذا كثير ، وحسبنا ما ذكرناه

للتمثيل والتتوير .

الفصل الأول

رسم المصحف العثماني

اختلف العلماء هل رسم المصاحف توقيفي من النبي ﷺ، أم اجتهادي ؟ فأما الذين ذهبوا إلى أن الرسم توقيفي ، فلم يجيزوا مخالفته ، وأما القائلون بأنه اجتهاد واصطلاح من الصحابة ، فاختلفوا ، فمنهم من أوجب اتباع اصطلاحهم ومنهم من جَوَّز مخالفته ، وجوز كتابة القرآن على غيره ، ومنهم من أوجب كتابة المصاحف على الرسم القياسي منعاً للبس ، فتلخص أن العلماء في الرسم العثماني على مذهبين : مذهب يوجب اتباعه (سواء من قال بالتوقيف ومن قال بأنه اصطلاح واجب الاتباع) ، ومذهب يرى جواز رسم المصاحف على غير الرسم العثماني ، وبعضهم يوجب ذلك .

المذهب الأول : أن رسم القرآن توقيفي ، فلا تجوز مخالفته ، ولا تجوز كتابة المصحف إلا على الكتابة الأولى ، وهو مذهب الجمهور ، واستدلوا على ذلك بأدلة ، منها :

- ١ - إقرار النبي ﷺ هذه الكتابة ، فقد كان للنبي ﷺ كُتَّاب يكتبون الوحي ، وقد كتبوا القرآن على هذا الرسم بين يديه ، وأقرهم على تلك الكتابة ومضى عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتابة ، لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.
- ٢ - ما ورد من أن النبي ﷺ كان يوقف كُتَّابه على قواعد رسم القرآن ويوجههم في رسم القرآن وكتابته .

أ- فعن معاوية أنه كان يكتب بين يدي النبي ﷺ ، فقال له : أَلِقِ الدَّوَاةَ ، (١) وحرَّفَ القَلَمَ ، وأَقِمِ البَاءَ ، وفرَّقِ السَّيْنَ ، ولا تَعَوِّرِ الميم وحسَّنِ (الله) ، ومدَّ (الرحمن) ، وجوَّد (الرحيم) (٢) .

ب- وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إذا كتب أحدكم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فليمدَّ الرحمن (٣) .

(١) أَلِقِ الدَّوَاةَ فلاقت: لَزَقَ المداد بصوفها. لسان العرب (لِيق) (٤١١٥/٥) .

(٢) ذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٥٧/١-٣٥٨) ، والحافظ في فتح الباري (٥٧٥/٧) .

(٣) رَوَاهُ الدِّيلَمِيُّ فِي مُسْتَدَه، انظر فردوس الأخبار (٣٦٤/١) ح ١١٧٤ .

- ٣ - إجماع الصحابة على ما رسمه عثمان في المصاحف، وعلى منع ما سواه .
 ٤ - إجماع الأمة المعصوم من الخطأ بعد ذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين على تلقّي ما نُقِلَ في المصاحف العثمانية التي أرسلها إلى الأمصار بالقبول ، وعلى ترك ما سوى ذلك (١) .

فهذا إجماع من الأمة على ما تضمنته هذه المصاحف وعلى ترك ما خالفها من زيادة ونقص ، وإبدال كلمة بأخرى ، أو حرف بآخر ، ولذلك جعل الأئمة موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً شرطاً لقبول القراءة ، فقالوا : كل قراءة ساعدها خط المصحف، مع صحة النقل ومجيئها على الفصح من لغة العرب فهي المعتمدة (٢) وممن حكى إجماع الأمة على ما كتب عثمان رضي الله عنه الإمام أبو عمرو الداني ، وروى بإسناده عن مصعب بن سعد قال : أدركت الناس حين شقّق عثمان رضي الله عنه المصاحف ، فأعجبهم ذلك ، أو قال : لم يعجب ذلك أحدٌ (٣) .

وقال القاضي عياض : أجمع المسلمون على أن من نقص حرفاً قاصداً لذلك أو بدله بحرف مكانه ، أو زاد فيه حرفاً ممّا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع ، وأجمع على أنه ليس من القرآن -عامداً لكل هذا ، فهو كافر (٤) . قال البيهقي : من كتَب مصحفاً ، فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ولا يخالفهم فيها ، ولا يغير ممّا كتبوه شيئاً ؛ فإنهم كانوا أكثر علماء وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانةً ممّا ، فلا ينبغي لنا أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم ، ولا تسقطاً لهم (٥) .

وعن زيد بن ثابت قال : القراءة سنةٌ ، قال سليمان بن داود الهاشمي: يعني ألا تخالف الناس برأيك في الاتباع (٦) .

(١) الكواكب الدرية ص ٣٤ .

(٢) الكواكب الدرية ص ٣٤ .

(٣) رواه الداني في المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار ص ١٨ ، ورواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، ص ١٩ ، ولفظه: ولم ينكر ذلك منهم أحدٌ .

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٦٤٧) .

(٥) الجامع لشعب الإيمان (٥/٦٠٠) .

(٦) رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٥/٦٠٠)، وفي السنن الكبرى (٢/٣٨٥)، والحاكم في المستدرک (٢/٢٢٤) وصححه ووافقه الذهبي .

قال البيهقي : إنما أراد — والله أعلم — أن اتباع مَنْ قبلنا في الحروف وفي القراءات سنة متبعة ، ولا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام ، ولا مخالفة القراءة التي هي مشهورة ، وإن كان غير ذلك سائغاً في اللغة ، أو أظهر منها (١) . وقال أيضاً: وبمعناه بلغني عن أبي عبيد في تفسير ذلك ، قال: وترى القراء لم يلتفتوا إلى مذاهب العربية في القراءة ، إذا خالف ذلك خط المصحف ، وزاد: واتباع حروف المصاحف عندهم كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها (٢) ونقل أحمد بن المبارك (٣) عن شيخه عبد العزيز الدباغ (٤) أنه قال :

ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة ، وإنما هو توقيف من النبي ﷺ ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة ، بزيادة الألف ونقصانها، لأسرار لا تهتدي إليها العقول ،... وهو سر من أسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية ،... وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز (٥) ، قال ابن درستويه : خطان لا يُقاس عليهما : خط المصحف ، وخط تقطيع العروض ... ووجدنا كتاب الله — جل ذكره — لا يُقاس هجاؤه ، ولا يُخالف خطُّه ولكنه يُتلقى بالقبول على ما أودع المصحف (٦) والقول بعدم جواز كتابة المصحف على غير الرسم العثماني هو قول أهل المذاهب الفقهية الأربعة ، قال العلامة محمد بن العاقب الشنقيطي (٧)

رسم الكتاب سنة متبعة كما نحا أهل المناحي الأربعة

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٣٨٥/٢) .

(٢) الجامع لشعب الإيمان (٦٠١/٥) ، وانظر البرهان في علوم القرآن (٣٨٠/١) .

(٣) أحمد بن المبارك السلجُماسي اللَّمَّطِي، فقيه مالكي، عارف بالحديث، ولد في سلجُماسة سنة ١٠٩٠ هـ، ١٦٧٩م ونشأ فيها ، ثم انتقل إلى فاس ، فقرأ وأقرأ ، حتى صرَّح لنفسه بالاجتهاد المطلق ، وتوفي بفاس سنة ١١٥٦ هـ ، ١٧٤٣م .

الأعلام (٢٠٢-٢٠١/١) .

(٤) عبد العزيز بن مسعود الدباغ الإدريسي الحسني، متصوِّف من الأشراف الحسنيين، ولد بفاس سنة ١٠٩٥ هـ ، ١٦٨٤م ، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولأتباعه مبالغة في النشاء عليه ، ونقل الخوارق عنه ، توفي بفاس سنة ١١٣٢ هـ ، ١٧٢٠م .

الأعلام (٢٨/٤) .

(٥) أحمد بن المبارك السلجُماسي في كتابه: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز ص ١٠١ .

(٦) البرهان في علوم القرآن (٣٧٦/١) ، نقلاً عن الكتاب لابن درستويه ص ٧ .

(٧) انظر التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية للدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح الفارئ ص ٢٧ .

وقد نقل الإمام الجعبري ، وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني (١) .

وفيما يأتي أقوال بعض فقهاء المذاهب الأربعة في هذه المسألة:

- **الأحناف :** قال في المحيط البرهاني: إنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني (٢) .

- **المالكية :** سئل مالك رحمه الله: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال : لا إلا على الكتابة الأولى (٣) قال السخاوي : والذي ذهب إليه مالك هو الحق ، إذ فيه بقاء الحالة الأولى ، إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأخرى بعد الأخرى ، إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى(٤) قال أبو عمرو الداني: ولا مخالف لمالك من علماء الأمة في ذلك(٥) وقال أبو عمرو الداني أيضاً: سئل مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك؟ قال: لا(٦) قال أبو عمرو: يعني الواو والألف الزائدتين في الرسم، المعدومتين في اللفظ، نحو الواو في : ﴿أُولَئِكَ﴾ و﴿وَأُولَئِكَ﴾ و﴿أُولَئِكَ﴾ و﴿وَأُولَئِكَ﴾ ونحو الألف في : ﴿نَدْعُوا﴾ و﴿وَلَا وَضَعُوا﴾ (٧) .

- **الشافعية :** قال الشيخ سليمان الجمل : (الربا) تكتب بهما ، أي : الواو والألف معاً ، فتكتب الواو أولاً في الباء ، والألف بعدها ، وهذه طريقة المصحف العثماني وقوله: "وبالياء" ، أي: في غير القرآن ؛ لأن رسمه سنة متبعة (٨) .

(١) بحث في المصاحف العثمانية للدكتور محمود سبيويه البدوي، مجلة كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة، العدد الأول ص ٣٤٥ ، نقلاً عن خميلة أرباب المقاصد شرح عقيلة أتراب القاصد للإمام الجعبري .

(٢) مناهل العرفان (٣٧٩/١) .

(٣) المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار ص ١٩ ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ٩ .

(٤) مناهل العرفان (٣٧٩/١) .

(٥) المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار ص ١٩ .

(٦) المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار ص ٣٦ ، والبرهان في علوم القرآن (٣٧٩/١) ، ومناهل العرفان (٣٧٩/١) .

(٧) المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار ص ٣٦ ، والبرهان في علوم القرآن (٣٧٩/١) ، ومناهل العرفان (٣٧٩/١) ، وقد

اختلفت المصاحف في هذه الكلمة ، ففي بعضها بألف بعد الهمزة ، وفي بعضها بغير ألف ، والعمل على إسقاط الألف .

انظر دليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٤٥ .

(٨) حاشية الجمل على شرح المنهج، للشيخ سليمان الجمل (٤٤/٣) .

- **الحنابلة :** قال الإمام أحمد بن حنبل : يحرم مخالفة مصحف الإمام في واو ألف أو ياء أو غير ذلك (١) .

المذهب الثاني : أن رسم المصاحف اصطلاحى لا توقيفى، وعليه فتجوز مخالفته .
وممن جرح إلى هذا الرأي وأيده ابن خلدون في مقدمته ، والقاضي أبو بكر في الانتصار وشيخ الإسلام ابن تيميه (٢) ، واستدل القائلون بهذا الرأي بأدلة منها :
١- أن الرسوم والخطوط ما هي إلا علامات وأمارات ، فكل رسم يدل على الكلمة ، ويفيد وجه قراءتها ، فهو رسم صحيح .

٢- أن كتابة المصحف على الرسم العثماني قد توقع الناس في الحيرة والخطأ والمشقة والحرَج ، ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة السليمة .

٣- أنه ليس في الكتاب العزيز ، ولا السنة المطهرة ، ولا في إجماع الأمة ، ولا في قياس شرعي ما يدل على وجوب كتابة المصحف برسم معين ، وكيفية مخصوصة ولم يرو عن الرسول ﷺ أنه أمر أحداً من كتاب الوحي حين كتابة الآيات القرآنية أن يكتبها برسم خاص ولا نهى أحداً أن يكتبها بهيئة معينة .

قال ابن خلدون : فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط، لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبُعْدِهِمْ عن الصنائع ، وانظر ما وقع من أجل ذلك في رسمهم المصحف ، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الإجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبرُّكاً بما رسمه أصحاب الرسول ﷺ ، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله تعالى وكلامه ، كما يُقْتَنَى لهذا العهد خطٌ وليٌّ أو عالمٌ تبرُّكاً، ويُتَّبَع رسمه خطأً أو صواباً، وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك وأُثِّبَ رسمًا ، ونَبَّه العلماء بالرسم إلى مواضعه .

قال : ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزرعه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط وأن ما يُتَخَيَّل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يُتَخَيَّل

(١) البرهان في علوم القرآن (٣٧٩/١) ، والإتقان (١٤٦/٤) .

(٢) نكت الانتصار لنقل القرآن ص ١٢٩ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٤٢٠/١٣-٤٢١) .

بل لكل وجه ، يقولون في زيادة الألف في ﴿ لا أذبحنه ﴾ إنه تنبيهٌ على أن الذبح لم يقع ، وفي مثل زيادة الياء ﴿ بأبيد ﴾ إنه تنبيهٌ على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك ممّا لا أصل له إلا التحكم المحض ، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادته ، وحسبوا أن الخط كمالٌ فنزهوهم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجابة من رسمه ، وليس ذلك بصحيح اه (١) .

وقال القاضي أبو بكر: وأما الكتابة ، فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً ، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطّاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره ، أوجبه عليهم وترك ما عداه ، إذ وجوب ذلك لا يُدرك إلا بالسمع والتوقيف ، وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص ، وحد محدود لا يجوز تجاوزه ، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية ، بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل ، لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه ، ولم يبين لهم وجهاً معيناً ، ولا نهى أحداً عن كتابته ، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاحٌ ، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول ، وأن يجعل اللام على صورة الكاف ، وأن تعوج الألفات وأن يكتب على غير هذه الوجوه ، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين ، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثه ، وجاز أن يكتب بين ذلك اه (٢) ، بل ذهب عز الدين بن عبد السلام (٣) إلى تحريم الكتابة على الرسم العثماني الأول ، ووجوب كتابة القرآن على الاصطلاحات المعروفة عند عامة الناس .

(١) مقدمة ابن خلدون (مقدمة تاريخ بن خلدون) ص ٤١٩ .

(٢) نكت الانتصار لنقل القرآن ص ١٢٩ ، وانظر : الإبريز ص ٩٩-١٠١ ، ومناهل العرفان (١/٣٨٠-٣٨١) .

(٣) هو الإمام العلامة ، وحيد عصره ، سلطان العلماء ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، برع في الفقه والأصول والعربية والتفسير والحديث ، رحل إليه الطلبة من سائر البلدان ، هذا مع الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . توفي سنة ٦٦٠ هـ . شذرات الذهب (٣/٣٠١) .

قال الزركشي بعد ذكر قول الإمام أحمد في تحريم مخالفة مصحف عثمان : وكان هذا في الصدر الأول ، والعلم غضُّ حيٍّ ، وأما الآن ، فقد يخشى الإلباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة ؛ لئلا يوقع في تغيير الجهال (١) .

قال البنا الدمياطي : وهذا كما قال بعضهم : لا ينبغي إجراؤه على إطلاقه ؛ لئلا يؤدي إلى درس العلم ، ولا يترك شيء قد أحكمه السلف مراعاة لجهل الجاهلين لا سيما ، وهو أحد الأركان التي عليها مدار القراءات (٢) .

حكم إتباع الرسم العثماني

الرأي الراجح :

والرأي الذي تطمئن إليه النفس هو رأي الجمهور الذين ذهبوا إلى أن خط المصاحف توقيف ، ولا تجوز مخالفته ، ويترجح هذا الرأي بإجماع الصحابة ومن بعدهم على كتابة المصاحف على هذه الهيئة المعلومة ، وعلى رفض ما سواها فلا يُعتبر بعد إجماع أهل القرون الأولى خلاف من خالف بعد ذلك ، ولا يجوز خرق إجماعهم ؛ لأن الإجماع لا يُنسخ ، ويؤيد ذلك أن الرسم الإملائي اصطلاح والاصطلاح قد يتغير مع تغير الزمان ، كما أن قواعد الإملاء تختلف فيها وجهات النظر ، فيؤدي ذلك إلى التحريف والتبديل في كلام الله ﷻ ، فلو أن أهل كل زمان اصطَلَحوا في كتابة المصاحف على اصطلاح يناسب ما يألفونه من قواعد الإملاء ، ثم أتى جيلٌ بعدهم فاصطَلَح على اصطلاح آخر يناسب ما استجدَّ من القواعد ، وانقطعت صلة الأجيال المتتابعة بالمصاحف التي كتبها الصحابة لو حدث ذلك لوصلنا خلال عقود قليلة إلى نصٍّ مشوَّه من القرآن وحينئذ لن يستطيع الناس تمييز القراءة الصحيحة من غيرها ، ويؤدي ذلك إلى تحريف كتاب الله ، ويحصل الشكُّ في جميعه ، فهذا الرسم العثماني هو أقوى ضمان لصيانة

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣٧٩) ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ٩ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ٩ - ١٠ .

القرآن من التغيير والتبديل ، ومِمَّا يؤيد كون خط المصاحف توقيف : أن الصحابة رضي الله عنهم كتبوا الكلمة الواحدة في بعض المواضع بهيئة ، وفي مواضع أخرى بهيئة أخرى ، ولا يظن بعاقِلٍ - فضلاً عن الصحابة العلماء النبلاء - أن يسمع الكلمة الواحدة فيكتبها مرة بهيئة ومرة بأخرى إلا أن يكون لذلك علة، ولا علة هنا إلا التوقيف ، فقد رسم الصحابة ﴿٥١﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ في سورة الحج ٥١ بزيادة الألف ، ولم يزدوا الألف من نفس اللفظ في سورة سبأ ٥ ، فرسموها هكذا: ﴿٥١﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٥١﴾

وكذلك فعلوا في الأعراف ١٦٦ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّاءٍ هُمْ أَقْنَىٰ قُلُوبُهُمْ لَمَّا جَاءَهُم مَّاءٌ فَمَا يَطَّيَّرُونَ ﴿١٦٦﴾ وحسب حَسِبَ ﴿١٦٦﴾ حيث كان فقد رسموه بزيادة الألف ، ما عدا موضع الفرقان ٢١ فرسموه ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ هكذا دون ألف ، وزادوا الألف بعد الواو في قوله وَجَّكَ ﴿٢١﴾ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا أَلَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴿٢١﴾ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١﴾ في سورة البقرة ، ولم يزدوها في قوله وَجَّكَ ﴿٢١﴾ فَأُولَئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴿٢١﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴿٢١﴾ في سورة النساء ٩٩ .

وكذلك حذفوا بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الألف من ﴿٢١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ بيوسف ٢ والزخرف ٣ ﴿٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ، وإثباتها في سائر

المواضع كقوله تعالى في آخر النمل ٩٢ ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۚ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ .

وحذفوا الألف من سَمَوَات كقوله تعالى في نوح ١٥ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ و سَمَوَات حيث وقع في القرآن كقوله تعالى في سورة الملك ٣ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۚ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۚ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ وأثبتوا الألف التي بعد واو السموات في فصلت ١٢ فقط ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظٍ ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ .

وأثبتوا الألف من الْمِيعَاد مطلقاً كقوله تعالى في آل عمران ٩:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾
وحذفوها من الموضع الذي في الأنفال ٤٢ ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۚ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وأثبتوها في سِرَاجًا كما هو في نوح ١٦ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مطلقاً وحذفوها في الفرقان ٦١ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ .

وزادوا الألف بعد واو الجماعة في الأفعال حيث وقع في القرآن كقوله في الفرقان

﴿٣٠﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾

واستثنوا من ذلك : ﴿٣٢﴾ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا

أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ ﴿٣٣﴾ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٤﴾ في البقرة ٩٠. وفي النور ١١ ﴿٣٥﴾ إِنَّ

الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلَافِكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ

مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٦﴾ .

﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْجَلُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٨﴾ في الحشر ٩ .

وفي البقرة ٢٢٦ ﴿٣٩﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٠﴾ وزادوا الألف في مائة ﴿٤١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ

وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴿٤٢﴾ في النور ٢ وفي عموم القرآن دون فئة ﴿٤٣﴾ وَمَنْ

يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ

اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٤﴾ في الأنفال ١٦ .

وزادوا الواو في سورتي الأعراف ٤٥ والانبيا ٣٧ : ﴿٤٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي

الْأَلْوَاكِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ

يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۖ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٦﴾ في الأعراف ١٤٥ .

سورتي الأعراف ٤٥ والأَنْبِيَاء ٣٧ ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي

فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٤٧﴾ . وزادوا الياء في الذاريات ٤٧ ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا

بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ . و ﴿ بِأَيْدِيكُمْ أَلْمَفْتُونُ ﴿٤٧﴾ في القلم ٦ .

ولا فرق بين هذه الكلمات وغيرها مما لم يزدوا فيه الألف أو الواو أو الياء .
فادعاء أن الصحابة اصطلحوا على هذا الرسم اتِّهَامٌ لَهُمْ بِمُخَالَفَةِ النَّبِيِّ ﷺ
ووصمٌ بالجهل والتفريق بين المتماثلات ، وهذا مما لا يظن بأحد العقلاء - فضلاً
عن صحابة خاتم الأنبياء .

قال الدباغ : وأما قول من قال : إن الصحابة اصطلحوا على أمر الرسم المذكور
فلا يخفى ما فيه من البطلان ؛ لأن القرآن كُتِبَ في زمان النَّبِيِّ ﷺ ، وبين يديه
وحينئذ فلا يخلو ما اصطلح عليه الصحابة ، إما أن يكون هو عين الهيئة
التي كُتِبَتْ بين يدي النَّبِيِّ ﷺ أو غيرها فإن كانت عينها بطل الاصطلاح ؛ لأن
أُسْبُقِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ تنافي ذلك ، وتوجب الاتباع ، وإن كان غير ذلك ، فكيف يكون
النَّبِيُّ ﷺ كتب على هيئة ، كههيئة الرسم القياسي مثلاً والصحابة خالفوا وكتبوا
على هيئة أخرى ؟ فلا يصحُّ ذلك لوجهين :

أولهما : نسبة الصحابة إلى المخالفة ، وذلك مُحَالٌ .

ثانيهما : أن سائر الأمة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة
حرف في القرآن ، ولا نقصان حرفٍ منه ، وما بين الدفتين كلام الله ﷻ ، فإذا
كان النَّبِيُّ ﷺ أثبت ألف في **مِائَةٍ** دون **فِئَةٍ** مثلاً ، ولم يزد الألف في
وَلَا وَضَعُوا ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ

الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ التوبة ٣٧ .

وزاد الياء في الذاريات ٤٧ ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ .

ونحو ذلك والصحابة عاكسوه في ذلك وخالفوه ، لزم أنهم — وحاشاهم من ذلك —
تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقصان ووقعوا فيما أجمعوا هم وغيرهم على ما لا

يحلُّ لأحد فعله ، ولزم تطرُّق الشكِّ إلى جميع ما بين الدفتين ؛ لأننا مهما جوزنا أن تكون فيه حروف ناقصة أو زائدة على ما في علم النَّبِيِّ ﷺ ، وعلى ما عنده وأنها ليست بوحى ، ولا من عند الله ولا نعلمها بعينها شككنا في الجميع ، ولئن جوزنا لصحابي أن يزيد في كتابته حرفاً ليس بوحى ، لزمنا أن نجوز لصحابي آخر نقصان حرف من الوحي ؛ إذ لا فرق بينهما وحينئذٍ تنحل عروة الإسلام بالكلية (١) ، وأما دعوى ابن خلدون — رحمه الله — أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يحكمون الخط ، فمبنيٌّ على آثار غير ثابتة أن أهل مكة إنما تعلموا الخط من أهل الحيرة ، وأن ذلك كان قبيل بعثة النَّبِيِّ ﷺ ، ولا يثبت ذلك من حيث السند (٢) وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الخط توقيفيٌّ (٣) وعليه فلم يكن العرب حديثي عهدٍ بالخط زمن بعثة النَّبِيِّ ﷺ وبهذا يتبين عدم ثبوت ما ادعاه العلامة ابن خلدون .

قال ابن فارس : الذي نقوله فيه : إن الخطَّ توقيفٌ ، وذلك لظاهر قوله ﷺ :

﴿ أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

وقال جل ثناؤه : ﴿ رَّبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾

وإذا كان كذا ، فليس ببعيد أن يوقف آدم عليه السلام ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - على الكتاب (٣) ، وذهب بعض آخر إلى أن الكتاب العربي وضع زمن إسماعيل عليه السلام فقد أخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل كما أن دعواه اضطراب الصحابة في كتابة المصاحف

ومخالفتهم ما اقتضته صناعة الخط بغير مسوغ ، فهي اتهام لهم بالبلادة وعدم الفهم ، كما أسلفنا ، ودعواه — رحمه الله — أن السلف من التابعين ومن بعدهم إنما اقتفوا أثر الصحابة في كتابة المصاحف لمجرد التبرك اتهامٌ للأمة جميعها بالتقليد الأعمى ، وعدم النظر لما يصلح دينها ، ومن الواضح البيِّن عدم إصابته

(١) الإبريز لأحمد بن المبارك السلجماسي ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) انظر الآثار الواردة في ذلك في كتاب المصاحف لابن أبي داود باب خطوط المصاحف ص ٩ - ١٠ .

(٣) المقصود بهذا القول جميع الخطوط ، أي خطوط المصاحف وغيرها ممَّا يكتبه البشر .

- رحمه الله - في ادعاء أن عدم إجادة الخط ليس نقصاً، كيف ذلك ، والعقلاء متفقون على أن الأمية نقصٌ يتنزّه عنه عوام الناس ، فضلاً عن علمائهم ، وإنما لم تكن الأمية نقصاً في حق نبينا ﷺ لما أنّها كانت آية صدقه، إذ مع كونه أمياً ، كان قد حاز من العلوم ما لم يصل إليه غيره من البشر، فكان النقص في حق غيره علامة كمال في حقه ﷺ وتبقى الأمية في حق بقية البشر نقصاً يتنزّه عنه عقلاؤهم .

قال العلامة المارغني معرضاً بآبن خلدون في رأيه هذا : وقد بلغ التهور ببعض المؤرخين إلى أن قال في مرسوم الصحابة ما لا يليق بعظيم علمهم الراسخ وشريف مقامهم الباذخ فأياك أن تغترّ به (١) .

وأما كلام القاضي الباقلاني فيناقش أيضاً بأن أدلة الجمهور القائلين بوجوب اتباع الرسم العثماني بعضها من السنة ، وبعضها من إجماع الصحابة ، وهذا يردّ دعواه عدم الدليل على وجوب اتباع رسم المصاحف العثمانية .

وأما قوله : " ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ... الخ " فغير مسلم ، لأن الإجماع قد انعقد وعلم الناس الرسم التوقيفي ، كما أن ما ذكره من صور اختلاف الخطوط لا يعدو التغير في صورة الحرف ، لا في رسم نفس الكلمة بزيادة حرف أو نقصان حرف ، ومِمّا يؤيد الرأي القائل بالتوقيف العلاقة الواضحة بين هذا الرسم العثماني ، وبين القراءات القرآنية المتواترة يدرك هذا من كان له أدنى معرفة بعلم القراءات ، إذ يلاحظ بوضوح أن الصحابة رضي الله عنهم عندما خالفوا القياس في الخط ، إنما كان ذلك لمقاصد تتعلق بما ثبتت روايته عن النبي ﷺ من أوجه القراءة في العرصة الأخيرة ، فكتبوا في الفاتحة : ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ دون ألف في ﴿ مَلِكٌ ﴾ لتحتمل الوجهين من القراءة بالألف ﴿ مَلِكٌ ﴾ وبدونها ﴿ مَلِكٌ ﴾ .

ومن أمثلة ذلك أيضاً كتابتهم قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ بدون

الألفات ، ودون النقط والشكل هكذا (ان هـن لسحرن) فاحتملت جميع أوجه القراءة فيها :

فقد قرأ أبو عمرو : ﴿ إِنَّ هَذَيْنِ لَسَحِرَانِ ﴾ بتشديد نون (إن) ، وبالياء في (هذين) وتخفيف النون فيها .

وقرأ ابن كثير: ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَحِرَانِ ﴾ بتخفيف نون (إن) ، وبالألف في (هذان) وتشديد النون منها ، وقرأ حفص : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَحِرَانِ ﴾ بتخفيف نون (إن) ، وبالألف في (هذان) وتخفيف النون منها .

وقرأ بقية القراء العشرة ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَحِرَانِ ﴾ بتشديد نون (إن) ، وبالألف في (هذان) وتخفيف النون منها (١) ، فهل يُعدُّ مثل هذا الرسم مخالفاً لقياس أهل صناعة الخط ؟!

وكذلك كتابتهم تاء التانيث بالتاء المفتوحة في بعض المواضع نحو:

رَحِمَتْ بالبقرة ٢١٨ والأعراف ٥٦، وهود ٧٣ والروم ٥٠

ففي هود ٧٣ ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ وفي كلمة نِعَمَت بالبقرة ٢٣١، وآل عمران ١٠٣ ، والمائدة ١١، وإبراهيم ٣٤ والنحل ٨٣ وفاطر ٣، ففي النحل ٨٣ ﴿ يَعْرِفُونَ

نِعَمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

وفي كلمة وَمَعْصِيَت بسورة المجادلة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعْوَدُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

(١) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٣٢٠-٣٢١) .

وفي هذه الكلمات : شَجَرَتْ ، قُرْتُ ، بَقِيَّت .

في الدخان ٤٣ ﴿ إِنَّ شَجَرْتَ الزُّقُومِ ﴾ .

في القصص ٩ ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

في هود ٨٦ ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وفي كلمة امرأة أضيفت إلى زوجها نحو ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ

لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ

مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَّتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ

مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ۖ إِذْ قَالَتْ رَبِّ

أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَخِجْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَخِجْنِي مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴾ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا

وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا أَنْ تُحْبِطَ وَلَدَهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ .

ولو كتبت بالهاء المربوطة، لَتَغَيَّرَ حُكْمُ الْوَقْفِ عَلَيْهَا (١) .

قال السيوطي : أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً وإثباتاً وحذفاً ، ووصلاً وقطعاً ، إلا أنه ورد عنهم اختلاف في أشياء بأعيانها ، كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء ، وبالحاق الهاء فيما تقدم وغيره ، وبإثبات الياء في مواضع لم تُرسم بها ... ثم قال : ومن القراء من يتبع الرسم في الجميع (٢) .

(١) انظر التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية ص ٢٧-٢٠ .

(٢) الإتيان في علوم القرآن (١/٢٥٠-٢٥١) .

قال الزركشي : ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم ذلك - كتابتهم المصحف على الذي يعطله النحويون في ذوات الواو والياء ، والهمز والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً ، نحو: الْخَبَاءَ و دِفْءٌ فصار ذلك كله حجة^(١)

كما أنه قد يُعترض على القول بالتوقيف باعتراضين :

أولهما : كيف كان للنبي ﷺ أن يوقف الصحابة على ما يكتب في المصاحف مع كونه أمياً ؟

فَعَنِ الْبُرَاءِ ﷺ فِي خَبَرِ صَلْحِ الْحَدِيثِ قَالَ : فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ ، وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ ، فَكَتَبَ : هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ... الحديث (٢) ، قال القاضي عياض: وقوله في الرواية التي ذكرناها : "ولا يحسن أن يكتب، فكتب" كالنص أنه كتب بنفسه ، قال : والعدول إلى غيره مجاز ، ولا ضرورة إليه (٣) فلا يبعد مع هذا أن يكون من النبي ﷺ التوقيف على ما يكتب من الحروف وما لا يكتب عند كتابة القرآن بين يديه ﷺ.

وأما الاعتراض الثاني : فهو : أن يقال : إن كان الرسم توقيفياً بوحى إلى النبي ﷺ فلم لم يُنقل تواتراً كما نقلت ألفاظ القرآن ، حتى ترتفع عنه الريبة وتطمئن به القلوب ؟ والجواب عن هذا أن رسم المصاحف قد نقل ألفاظاً ورسمًا على الوجه الذي تقوم به الحجة ، يدرك ذلك أهل العلم ، الذين حفظوا ألفاظه ورسمه ، ولم يضيعوا منها شيئاً ، ولا يقدح في ذلك اختلاف علماء الرسم بعض الحروف ، إذ إن عثمان ﷺ قد كتب عدداً من المصاحف ، وقد كان بينها بعض الاختلاف لتحتمل ما ثبت من أوجه القراءة ، ولا يضرُّ جهل من جهل دقة هذا النقل كما لا يضرُّ جهل العوام بالقرآن وعدم حفظهم لألفاظه .

(١) البرهان في علوم القرآن (٣٧٨/١) .

(٢) رواه الترمذي في جامعه، كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر (١٧٥/٥) ح ٢٩١٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي باب عمرة القضاء ، صحيح البخاري مع فتح الباري (٥٧٠-٥٧١/٧) ح ٤٢٥١ .

وفي ختام هذه المسألة أنوّه على أنه ليس هناك صعوبة تذكر على قارئ القرآن الكريم بعد ما أضيف إلى صورة الرسم من رموز النقط والشكل ، التي أوضحت مشكله ، وأعانت على سلامة النطق به .

وقد مرت القرون على المسلمين، وهم يكتبون المصاحف على ما رسم الصحابة رضي الله عنهم ولم يؤدّ ذلك إلى خطأ في تلاوة القرآن (١)، أو وقوع تحريف وأكبر دليل على ذلك تلاوتهم لإبراهيم البقرة وهي على امتداد السورة كلها مكتوبة بدون ألف الوسط والياء بخلاف باقي السور الكريمة ، وإذا علمنا أن سورة البقرة نزلت منجمة على مدى تسع سنين أدركنا أن الكتابة بهذه الصورة وفي تلك السورة مقصودة لذاتها ولقد أفردنا فصلاً كاملاً في نهاية هذه الدراسة تناولنا فيه علة الكتابة على هذه الصورة مما يدل على الإعجاز الرباني في الرسم العثماني فله الحمد والمنة .

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٨/١٢) .

الفصل الثاني

تدوين القرآن الكريم

المبحث الأول

الأمر بكتابة القرآن الكريم

كان تعويل النبي ﷺ وأصحابه أول الأمر على جمع القرآن في القلوب بحفظه واستظهاره ، ضرورة أنه نبي أمي ، بُعث إلى أمة أمية ، قال ابن الجزري : (١) ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، لا على خط المصاحف والكتب ، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة (٢) ، ففي الحديث الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن الله عز وجل أنه قال : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَتْلِيَّكَ وَأُبْتَلِيَ بِكَ ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقُظَان (٣) ، فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء (٤) ، ثم كان من مزيد عناية النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أن اعتنوا بكتابة القرآن الكريم ، حتى يكون ذلك حصناً ثانياً لحمايته من التغيير والضياع ، فأمر النبي ﷺ بكتابة القرآن حفظاً له في السطور بعد أن حفظه هو وأصحابه في الصدور ونهى في بداية الأمر (٥) عن كتابة غير القرآن ؛ حتى لا يلتبس به :

- (١) هو الإمام العلامة محمد بن محمد بن علي بن الجزري، المقرئ المجود، صاحب التصانيف العظيمة في القراءات، كالنشر وتقرئها، والدرة والطيبة، وغيرها كثير، وألف أيضاً في التفسير والحديث والفقه والعريضة، ونظم كثيراً في العلوم وغير ذلك في فنون شتى. توفي سنة ٨٣٣ هـ. مقدمة النشر في القراءات العشر (١/د) .
- (٢) النشر في القراءات العشر (٦/١)، وانظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠٠/١٣) .
- (٣) مسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٩٨/١٧) ح ٢٨٦٥، وأحمد في مسند الشاميين (١٦٦/٥) ح ١٧٠٣٠ .
- (٤) في شرح قوله: لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ قال ابن الأثير: أراد أنه لا يمحو أبداً، بل هو محفوظ في صدور الذين أوتوا العلم، { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه } وكانت الكتب المنزلة لا تجمع حفظاً ، وإنما يعتمد في حفظها على الصحف، بخلاف القرآن، فإن حفظه أضعاف مضاعفة لصحفه . النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦٧/٣) .
- (٥) ورد التصريح بكتابة الحديث بعد ذلك ، كما في حديث أبي هريرة في فتح مكة : فَقَامَ أَبُو شَاهٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّيْمَنِ فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ . قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ مَا قَوْلُهُ : اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ هَذِهِ الْخُطْبَةُ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . رواه مسلم في كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاتها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام (١٢٩/٩) ح ١٣٥٥ ، والبخاري في كتاب العلم باب كتابة العلم (٢٤٨/١) ح ١١٢ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلَّا الْقُرْآنَ فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيُمَحِّهُ (١) . قال النووي: وكان النهي (٢) حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أُنْزِلَ ذلك أُنْزِلَ في الكتابة وقيل: إنما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ؛ لئلا يختلط فيشتبه على القارئ في صحيفة واحدة (٣) ، وزاد الحافظ ابن حجر وجهًا أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره (٤) وقد بلغ من عناية النبي ﷺ بتدوين القرآن أنه كان إذا أنزل عليه شيء يدعو أحد كتّابه ، ويأمره بكتابة ما نزل عليه - ولو كان كلمة واحدة ، أو سورة طويلة - بمجرد نزوله عليه : فعن عثمان بن عفان ، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا تَنَزَّلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ فَيَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ لَهُ ، وَيَقُولُ لَهُ : ضَعْ هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا (٥) .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ كُنْتُ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَغَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ فَوَقَعَتْ فَخَذُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخْذِي فَمَا وَجَدْتُ ثِقْلَ شَيْءٍ أَثْقَلَ مِنْ فَخْذِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ: اكْتُبْ فَكَتَبْتُ فِي كِتَافٍ (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) فَقَامَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى لَمَّا سَمِعَ فَضِيلَةَ الْمُجَاهِدِينَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ بِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ غَشِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ السَّكِينَةُ فَوَقَعَتْ فَخَذَهُ عَلَى فَخْذِي وَوَجَدْتُ مِنْ ثِقَلِهَا فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ كَمَا وَجَدْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ثُمَّ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ اقْرَأْ يَا زَيْدُ فَقَرَأْتُ { (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ { فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ { غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ } ، (٦) الْآيَةَ كُلَّهَا .

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرفائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم - صحيح مسلم مع شرح النووي (١٢٩/١٨)

ح ٣٠٠٤ ، والدارمي في المقدمة . باب من لم ير كتابة الحديث (١١٩/١) ح ٤٥٠ .

(٢) يعني عن كتابة الحديث .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٠/١٨) ، والممدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ص ٤١٠ وما بعدها .

(٤) فتح الباري (٢٥١/١) .

(٥) رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب من جهر بها (٢٠٨/١-٢٠٩) ح ٧٨٦ ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب سورة

التوبة (٢٧٢/٥) ح ٣٠٨٦ ، وأحمد في مسنده - مسند العشرة المبشرين بالجنة (٩٢/١) ح ٤٠١ ، (١١١/١) ح ٥٠١ .

(٦) من الآية ٩٥ من سورة النساء .

قَالَ زَيْدٌ : فَأَنْزَلَهَا اللَّهُ وَحَدَّثَهَا ، فَأَلْحَقْتُهَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُلْحَقِهَا عِنْدَ صَدْعٍ فِي كَتِفِ (١) وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ، قَالَ : هِيَ مَكِّيَّةٌ ، نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً ، نَزَلَتْ لَيْلًا ، وَكُتِبُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ (٢) .

سبب جمع القرآن كتابة في العصر النبوي

وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِحِفْظِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ ، قَالَ ﷺ :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣) .

وَلَمَّا كَانَتْ الْكِتَابَةُ مِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ ، فَقَدْ يَسِرُهَا اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَفَعَلَهَا كُتَّابُهُ بِحَضْرَتِهِ ﷺ هَذَا ، وَقَدْ كَانَ لِكِتَابَةِ الْقُرْآنِ أَسْبَابٌ أُخْرَى ، مِنْهَا :

١ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مُطَالِبًا بِتَبْلِيغِ الْوَحْيِ ، قَالَ ﷺ :

﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٤) ، وَالتَّبْلِيغُ فِي حَاجَةٍ

مَاسَّةٌ إِلَى الْكِتَابَةِ ، فَبِهَا تَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ يَرَى الْكِتَابَ مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعْ الْبَلَاغَ بِاللِّسَانِ ، إِمَّا لِبَعْدِ دَارِهِ أَوْ بَعْدَ زَمَانِهِ عَنْ دَارِ وَزَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ .

٢ - أَنَّ الْكِتَابَةَ أَدْعَى إِلَى حِفْظِ التَّنْزِيلِ وَضَبْطِهِ ، وَأَبْعَدَ عَنْ ضَيَاعِهِ وَنَسْيَانِهِ فَاقْتَضَى ذَلِكَ تَعْضِيدَ الْمُحْفُوظِ فِي الصُّدُورِ بِالْمَكْتُوبِ فِي السُّطُورِ ، لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، إِلَّا أَنَّهُ بَصَدَّ أَنْ يَمُوتَ ، وَلَا يُدْرَى مَتَى يَمُوتُ ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَفْنَى حِفَافُهُ فِي أَيِّ سَاعَةٍ ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ سَبْعِينَ مِنْهُمْ قَتَلُوا فِي بَرْرٍ مَعُونَةٍ ، وَمِثْلَهُمْ أَوْ يَزِيدُ قَتَلُوا فِي وَقْعَةِ الْيَمَامَةِ ، (٥) فَاقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ يُكْتَبَ الْقُرْآنُ بِمَجْرَدِ نَزْوَلِهِ (٦) .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ بِأَبِ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ ... } (٥٣/٦) ح ٢٨٣٢ ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ كِتَابَ الْإِمَارَةِ بِأَبِ سَقُوطِ فَرَضِ الْجِهَادِ عَنِ الْمُعْتَدِلِينَ (٤٣-٤٢/١٣) ح ١٨٩٨ ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ كِتَابَ الْجِهَادِ بِأَبِ فِي الرُّخْصَةِ فِي الْقُعُودِ مِنَ الْعَذْرِ (١١/٣) ح ٢٥٠٧ .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ (١/٣) ، وَمَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ (تَفْسِيرُ الْقَاسِمِيِّ) (٢٢٣٠/٦) .

(٣) الْآيَةُ ٩ مِنْ سُورَةِ الْحَجْرِ .

(٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، الْآيَةُ ٦٧ .

(٥) رَاجِعْ مَبْحَثَ الْحِفَافِ مِنَ الصَّحَابَةِ .

(٦) مَنَاهِلُ الْعُرْفَانِ (١/٣٦٢) .

مواد الكتابة في العصر النبوي :

كان أصحاب النبي ﷺ يستعملون في كتابة القرآن كل ما توفر في بيئتهم وتيسر لهم من أدوات الكتابة كالجلود والعظام والحجارة ونحوها ، فكانوا يكتبون القرآن على الرقاع (١) ، والأكتاف (٢) ، والعُسب (٣) ، واللخاف (٤) والأضلاع (٥) والأقتاب (٦) ، والألواح (٧) ، وقطع الأديم (٨) ، والكرانيف (٩) .

عن زيد بن ثابت قال : فتنبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسب (١٠) .

وفي رواية : فتنبعت القرآن أجمعه من العُسب والرقاع واللخاف (١١) .

وفي رواية : ومن الأضلاع ، وفي رواية : والأقتاب (١٢) .

وعن البراء بن عازب قال : كنت عند رسول الله ﷺ فقال : ادع لي زيدا وليجئ باللوح والدواة والكُتف أو الكتف والدواة (١٣) .

وعن يزيد بن عبد الله قال : كنا بالمربد فجاء رجل أشعث الرأس بيده قطعة أديم أحمر ، فقلنا : كأنك من أهل البادية ؟ فقال : أجل ، قلنا : ناولنا هذه القطعة الأديم التي في يدك ، فناولناها فقرأناها فإذا فيها : من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش (١٤)

-
- (١) الرقاع جمع رُقعة ، وهي التي يكتب فيها ، وتكون من جلد أو كاغذ . لسان العرب مادة (رقع) (١٧٠٥/٣) .
- (٢) الأكتاف جمع كُتف ، وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب ، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم . النهاية في غريب الحديث (١٥٠/٤) .
- (٣) العُسب جمع عسب ، وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ، ويكتبون في الطرف العريض ، وقيل العسب طرف الجريدة العريض الذي لم ينبت عليه الخوص ، والذي ينبت عليه الخوص هو السعف . النهاية في غريب الحديث (٢٣٤/٣) ، ولسان العرب مادة (عسب) (٢٩٣٦/٤) .
- (٤) اللخاف جمع لَخْفَة ، وهي صفائح الحجارة البيض الرقاق ، فيها عرض ودقة ، وقيل هي الخزف يصنع من الطين المشوي . وقد فسر بعض الرواة بالحجارة . كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٣٠١٤ ، وبعضهم بالخزف . فتح الباري (١٩٥/١٣) ح ٧١٩١ .
- (٥) الأضلاع هي عظام الجنين ، جمع ضِلْع ، وهو محنية الجنب . لسان العرب مادة (ضلع) (٢٥٩٨/٤) .
- (٦) الأقتاب جمع قَتَب بفتحين ، وهو الخشب الذي يوضع ظهر البعير ليركب عليه . فتح الباري (٦٣٠/٨) .
- (٧) الألواح جمع لَوْح ، وهو كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب ، والكتف إذا كتب عليها سميت لوحًا . لسان العرب مادة (لوح) (٤٠٩٥/٥) .
- (٨) الأديم هو الجلد ما كان ، وقيل الأحمر منه ، وقيل هو المدبوغ . لسان العرب مادة (أدم) (٤٥/١) .
- (٩) الكرانيف جمع كُرْنِافَة ، وهي أصل السَّعْفَة الغليظة . النهاية في غريب الحديث (١٦٨/٤) .
- (١٠) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب { لقد جاءكم رسول من أنفسكم ... } (١٩٤/٨-١٩٥) ح ٤٦٧٩ .
- (١١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً (١٩٥/١٣) ح ٧١٩١ .
- (١٢) رواهما ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ١٤، ١٥ .
- (١٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب كَاتِبِ النَّبِيِّ ﷺ (٦٣٧/٨-٦٣٨) ح ٤٩٩٠ .
- (١٤) رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفء باب ما جاء في سَهْمِ الصَّقِيَّ (١٥٣/٣) ح ٢٩٩٩ .

قال ابن الأثير: وحديث الزهري : والقرآن في الكرانيف ، يعني أنه كان مكتوباً عليها قبل جمعه في الصحف (١) ، هذه الآثار وغيرها تدلنا على عظيم بلاء الصحابة رضي الله عنهم في كتابة القرآن ، وما تحملوه من المشقات ، حيث إن مواد الكتابة في ذلك العهد لم تكن متوفرة ، كما أن الموجود منها لم يكن سهل الاستعمال ، بل كان يحتاج إلى جهد كبير في التجهيز والإعداد .

وبقي القرآن مكتوباً على هذه الأشياء محفوظاً عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، ولم يجمع في صحف أو مصاحف في ذلك العهد (٢) ، قال القسطلاني : (٣) وقد كان القرآن كله مكتوباً في عهده صلى الله عليه وسلم ، لكن غير مجموع في موضع واحد ، ولا مرتب السور (٤) .

(١) النهاية في غريب الحديث (١٦٨/٤) .

(٢) مناهل العرفان (٢٤٧/١) . (٣٦٨/١) .

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني القتيبي المصري ، ولد سنة ٨٥١ هـ ، له تصانيف عظيمة ، منها إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ولطائف الإشارات في علم القراءات ، وغيرها من المصنفات المفيدة .

توفي سنة ٩٢٣ هـ . الأعلام للزركلي (٢٣٢/١) .

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤٤٦/٧) ، وانظر دليل الحيران شرح مورد الزمان في رسم القرآن للمارغني ص ١٧

المبحث الثاني

أسباب عدم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد

توفي النبي ﷺ والقرآن مفرق في الرقاع والعشب والعظام والأحجار ، ولم يُجمع القرآن في زمنه ﷺ في صحف ولا مصاحف :
فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي شَيْءٍ (١) .
قال السيوطي: ولا ينافي ذلك ؛ (٢) لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة (٣) .

قال القسطلاني : وقد كان القرآن كله مكتوباً في عهده ﷺ ، لكن غير مجموع في موضع واحد ، ولا مرتب السور (٤) .

وإنما ترك النبي ﷺ جمع القرآن في مصحف واحد لاعتبارات كثيرة ، منها (٥) :

١ - أنه لم يوجد من دواعي كتابته مجموعاً في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر رضي الله عنه حتى كتبه في صحف ، ولا مثل ما وجد في عهد عثمان رضي الله عنه حتى نسخه في مصاحف ، فالمسلمون وقتئذ بخير والقراء كثيرون ، والإسلام لم تنتع دولته ، والفتنة مأمونة ، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة ، وأدوات الكتابة غير ميسورة والنبي ﷺ بين أظهرهم ، وعنايته باستظهار القرآن تفوق الوصف فلا خوف على ضياع شيء منه في تلك المدة .

٢ - أن النبي ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله نسخه من القرآن ، ولو جمع القرآن في مصحف واحد وقتئذ لكان عرضة لتغيير المصاحف كلما وقع نسخ .

(١) أخرجه الدبر عاقولي في فوائده ، انظر فتح الباري (٦٢٧/٨) ، والإتقان في علوم القرآن (١٦٤/١) ، ورواه الطبري عن الزهري مرسلاً مرفوعاً، تفسير الطبري، المقدمة (٢٨/١) .

(٢) يعني أن القرآن كان مكتوباً زمنه ﷺ .

(٣) يعني أن الذي نفاه زيد من الجمع هو جمع متفرق القرآن في صحف، وجمع الصحف في المصاحف، كتابة جميع القرآن. انظر الإتقان في علوم القرآن (١٦٤/١) .

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤٤٦/٧) ، ودليل الحيران شرح مورد الظمان في رسم القرآن للمارغني ص ١٧ .

(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤٤٦/٧) ، والإتقان (١٦٤/١) ، ومناهل العرفان (٢٤٨/١-٢٤٩) ودليل الحيران

شرح مورد الظمان في رسم القرآن للمارغني ص ١٧ ، ودلائل النبوة (١٥٤/٧) .

من قام بالجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه

مرّ فيما سبق أن الذي أشار بجمع القرآن كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأن أبا بكر ندب لهذه المهمة زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه .

وقد بين أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسباب اختياره زيد بن ثابت في الحديث الذي أسلفناه حيث قال له : إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلَا نَتَهْمُكَ ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَتَتَّبِعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ (١) ، وقد ورد أيضاً أن زيد بن ثابت كان قد حضر العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، كما مرّ ، أضف إلى ذلك أن زيد بن ثابت كان ممن جمع القرآن حفظاً في صدره في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ : قُلْتُ لَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ : مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ؟ قَالَ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَبِي بَنْ كَعْبٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ (٢) .

فتبين أن أبا بكر رضي الله عنه إنما اختار لهذه المهمة الشاقة زيد بن ثابت للأسباب الآتية (٣):

- ١ - أنه كان شاباً ، وفي ذلك خصال توافق غرض الصديق ، حيث إن الشاب أقوى وأجلد على العمل الصعب من الشيخ ، كما أن الشاب لا يكون شديد الاعتداد برأيه ، فعند حصول الخلاف يسهل قبوله النصيحة والتوجيه (٤) .
- ٢ - أن زيد بن ثابت كان معروفاً بوفرة عقله، وهذا ممّا يؤهله لإتمام هذه المهمة الجسيمة .
- ٣ - أنه كان غير متهم في دينه ، فقد كان معروفاً بشدة الورع ، والأمانة وكمال الخلق والاستقامة في الدين .

(١) سبق تخريجه قريباً .

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب باب مناقب زيد بن ثابت ح ٣٨١٠ . صحيح البخاري مع فتح الباري (١٥٩/٧) ، وفي فضائل

القرآن باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ح ٥٠٠٤ (٦٦٣/٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بن كعب .

انظر صحيح مسلم مع شرح النووي (١٩/١٦) ح ٢٤٦٥ .

(٣) وانظر في ذلك أيضاً : مقدمة كتاب المباني ص ٢٥ ، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ٢٧١ .

(٤) نكت الانتصار لنقل القرآن ص ٣٦٩ .

٤ - أنه كان يلي كتابة الوحي لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ويرى إِمْلَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فكان يشاهد من أحوال القرآن ما لا يشاهده غيره ، وهذا يؤهله أكثر من غيره ليكتب القرآن ، ويجمعه .

٥ - أنه كان حافظاً للقرآن الكريم عن ظهر قلب، وكان حفظه في زمن النَّبِيِّ ﷺ على العرضة الأخيرة .

٦ - أنه فيما روي كان مِمَّنْ شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم ، كما مرَّ علينا (١) .

وقد كان زيد بن ثابت رضي الله عنه جديراً بهذه الثقة ، ويدل على ذلك قوله لَمَّا أمره أبو بكر بجمع القرآن: فَوَ اللَّهِ ! لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ (٢) ، قال ابن حجر: وإنما قال زيد بن ثابت ذلك لِمَا خَشِيَهِ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي إِحْصَاءِ مَا أُمِرَ بِجَمْعِهِ ، لكن الله تعالى يسر له ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٣) .

وصدور الرجال ، وأشرف عليه وعاونه في ذلك أبو بكر وعمر وكبار الصحابة(٤) فقد شارك في العمل في هذا الجمع عدد من كبار الصحابة، منهم عمر بن الخطاب وأبي بن كعب وغيرهما .

فعن عروة بن الزبير قال : لَمَّا استحرَّ القتل بالقراء يومئذٍ ، فرَّق أبو بكرٍ على القرآن أن يضيعَ ، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه (٥) .

(١) في مبحث العرضة الأخيرة للقرآن الكريم .

(٢) سبق تخريجه قريباً .

(٣) من الآية ١٧ من سورة القمر . وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦٢٩/٨) .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢٥٠/١) .

(٥) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع أبي بكر القرآن في المصاحف ص ١٢، قال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات

مع انقطاعه . فتح الباري (٦٣٠/٨) .

وعن أبي العالية عن أبي بن كعب أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر ، فكان رجال يكتبون ، ويُملي عليهم أبي بن كعب (١) ، وبهذه المشاركة أخذ هذا الجمع الصفة الإجماعية ، فقد اتفق عليه الصحابة رضي الله عنهم وتعاونوا على إتمامه على أكمل وجه .

من قام بجمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه

انعقد عزم الصحابة رضي الله عنهم - بعد ما رأوا من اختلاف الناس في القراءة - على أن يجمعوا القرآن ، ويرسلوا منه نسخاً إلى الأمصار ، لتكون مرجعاً للناس يرجعون إليه عند الاختلاف ، فانتدب عثمان بن عفان رضي الله عنه لذلك اثني عشر رجلاً وأمرهم بأن يكتبوا القرآن في المصاحف ، وأن يرجعوا عند الاختلاف إلى لغة قريش .

عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار ، فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت (٢) .

والذي يظهر أن عثمان رضي الله عنه انتدب رجلين فقط أول الأمر ، هما زيد بن ثابت وسعيد بن العاص ، كما جاء عن علي بن أبي طالب - في قصة جمع القرآن زمن عثمان - أنه قال : فقليل : أي الناس أفصح ؟ وأي الناس أقرأ ؟ قالوا : أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرئهم زيد بن ثابت ، فقال عثمان : ليكتب أحدهما ويُملي الآخر ، ففعلا ، وُجمع الناس على مصحف (٣) .

قال الحافظ ابن حجر : بإسناد صحيح (٤)

(١) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع أبي بكر القرآن في المصاحف ص ١٥ ، وفي باب خبر قوله تعالى : ﴿لقد جاءكم رسول﴾ ص ٣٨ ، ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن باب فيما نزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة .

(٢) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع عثمان رحمة الله عليه المصاحف ص ٣٣ ، وأورده الحافظ ابن كثير من طريق ابن أبي داود ، وقال : إسناده صحيح. فضائل القرآن ص ٤٥ .

(٣) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع عثمان المصاحف ص ٣٠ .

(٤) فتح الباري (٦٣٤/٨) .

فالظاهر أنهم اقتصروا عليهما أول الأمر للمعنى المذكور في هذا الأثر ، ثم لما احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي تُرسل إلى الآفاق أضافوا إلى زيدٍ وسعيدٍ عبدَ الله بنَ الزبير وعبدَ الرحمن بنَ الحارث بن هشام .

فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَانَ دَعَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ فَكَعَاصٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فَنَسَخَوْهَا (١) فِي الْمَصَاحِفِ ، وَقَالَ عُمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ (٢) .

ثم أضافوا بعد ذلك آخرين بحسب ما كانوا يحتاجون إليه من الإملاء والكتابة وكان منهم أبي بن كعب الذي احتاجوا إليه للاستظهار ، كما ورد في رواية محمد بن سيرين السابقة .

وقد وقع في الروايات الواردة تسمية تسعة من هؤلاء الإثني عشر رجلاً ، وهم :

- ١ - زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ .
- ٢ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ .
- ٣ - سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ (٣) .
- ٤ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ (٤) .
- وهؤلاء هم الأربعة المذكورون في حديث أنس بن مالك السابق قريباً .
- ٥ - أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، كما في حديث كثير المتقدم أيضاً .
- ٦ - أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ .
- ٧ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ (٥) .

(١) يعني الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب نزل القرآن بلسان قريش (٦٢١/٦) ح ٣٥٠٦ .

(٣) هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، له صحبة ، توفي النبي صلى الله عليه وسلم وله تسع سنين ، وكان أميراً شريفاً ، ذا حلم وعقل يصلح للخلافة ، ولي إمرة المدينة لمعاوية رضي الله عنه ثم ولي إمرة الكوفة ، وغزا طبرستان ففتحها ، وكان أحد من ندبهم عثمان رضي الله عنه لكتابة المصاحف ؛ لفصاحته وشبه لهجته بلهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات سنة سبع أو ثمان وخمسين .

سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤٤/٣) ، وطبقات ابن سعد (٣٠/٥) ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٣٩١/٢) .

(٤) من أشرف بني مخزوم ، توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين ، وكان من نبلاء الرجال ، ومن فضلاء المسلمين وخيارهم علماً وديناً وعلو قدر ، شهد الجمل مع عائشة ، وكان صهراً لعثمان ، توفي في خلافة معاوية . أسد الغابة (٣٢٧/٣) ، وسير أعلام النبلاء (٤٨٤/٣) .

(٥) قال الحافظ ابن حجر عن مشاركة ابن عباس وأنس بن مالك في الكتابة: وقع ذلك في رواية إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن ابن شهاب . فتح الباري (٦٣٥/٨) .

٨ - مالك بن أبي عامر ، (١) جد مالك بن أنس، ثبت ذلك من روايته (٢) .
وقال الإمام مالك بن أنس : كان جدِّي مالك بن أبي عامر مِمَّنْ قرأ في زمان
عثمان ، وكان يُكتبه المصاحفَ (٣) .

٩ - كثير بن أفْلَح ، (٤) كما في حديث ابن سيرين المتقدم .
وفيه قول محمد بن سيرين : فقلت لكثير - وكان فيهم (فيمن يكتب) : هل تدرون
لم كانوا يُؤخِّرونه ؟ قال : لا ، قال محمد : فظننت أنهم إنما كانوا يُؤخِّرونه
لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الآخرة ، فيكتبونها على قوله (٥) .

وقد روي عن أبي المليح عن عثمان رضي الله عنه أنه حين أراد أن يكتب المصحف قال :
تَمَلُّ (٦) هُذَيْلٌ ، وتكتبُ ثَقِيفٌ (٧) .

وعن عمر بن الخطاب أنه قال: لا يُمَلِّينَ في مصاحفنا إلاَّ غِلْمَانُ قُرَيْشٍ وَثَقِيفٍ (٨)
أما الأثر الوارد عن عمر بن الخطاب ، فلا مدخل له هنا ، إذ عمر قد مات
قبل أن تكتب المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه ، وأما الأثر الوارد عن عثمان ،
فإنه منقطعٌ ؛ لأن أبا المليح لم يلق عثمان (٩) ، كما أن فيه نكارةً ، لأنه مخالف
للواقع فليس فيمن ورد تسميتهم في الروايات أحدٌ من ثَقِيفٍ أو هُذَيْلٍ ، بل كلهم
إما قُرَشِيٌّ وإما أنصاريٌّ (١٠) .

(١) من كبار التابعين وعلمائهم، وأبوه أبو عامر بن عمرو بن الحارث، صحابي شهد المغازي كلها ما خلا بدرًا، وهو أحد الذين
حملوا الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ليلاً إلى قبره. تهذيب التهذيب (١٩/١٠) .

(٢) انظر المصاحف لابن أبي داود ص ٢٩ .

(٣) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع عثمان المصاحف ص ٣٤ .

(٤) مولى أبي أيوب الأنصاري، قُتِلَ في وقعة الحرة سنة ٦٣هـ. شذرات الذهب (٧١/١) .

(٥) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع عثمان رحمة الله عليه المصاحف ص ٣٣، وأورده الحافظ ابن كثير من طريق
ابن أبي داود، وقال: إسناده صحيح. فضائل القرآن ص ٤٥ .

(٦) أي تَمَلُّ، قال تعالى: ﴿فليكتب وليُمَلِّل الذي عليه الحق﴾ . البقرة ٢٨٢. قال الجوهر في الصحاح: وأَمَلَّ عليه أيضًا، بمعنى
أَمَلَى . يُقَالُ : أَمَلَلْتُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ . الصحاح (ملل) (١٨٢١/٥) .

(٧) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع عثمان المصاحف ص ٣٤ .

(٨) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف: باب جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه القرآن في المصحف ص ١٧ .

(٩) انظر ترجمته في تهذيب الكمال (٣١٦/٣٤-٣١٧) .

(١٠) انظر فتح الباري (٦٣٥/٨) .

وَمِمَّنْ وَرَدَ تَسْمِيَتُهُمْ أَيْضاً فِيمَنْ شَارَكَ فِي هَذَا الْجَمْعِ بِالْكِتَابَةِ أَوْ الْإِمْلَاءِ :
عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبان بن سعيد بن
العاص (١)

وأبان بن سعيد بن العاص ، هو عمُّ سعيد بن العاص - أحد الأربعة الذين اختيروا
للجمع ، وقد ورد أنه شارك في هذا الجمع :

فعن عُمارة بن غَزِيَّة عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت
أنَّهُ قَالَ: فَأَمَرَنِي عُمَانُ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ مُصْحَفًا ، وَقَالَ إِنِّي جَاعِلٌ مَعَكَ رَجُلًا لَبِيبًا
فَصِيحًا ، فَمَا اجْتَمَعْتُمَا عَلَيْهِ فَاكْتُبَاهُ ، وَمَا اخْتَلَفْتُمَا فِيهِ فَارْفَعَاهُ إِلَيَّ ، فَجَعَلَ مَعَهُ
أَبَانَ بْنَ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ (٢) .

وأبان بن سعيد بن العاص قتل في سنة اثنتي عشرة يوم أجنادين ، قبل وفاة أبي
بكر بقليل أو سنة أربع عشرة يوم مرج الصفر ، في صدر خلافة عمر ، وقيل إنه
توفي سنة تسع وعشرين ، والأول قول أكثر أهل النسب (٣) .

قال الحافظ : ووقع في رواية عُمارة بن غَزِيَّة "أبان بن سعيد بن العاص" بدل
"سعيد" ، قال الخطيب : ووهم عُمارة في ذلك ؛ لأن أبان قُتِلَ بالشام في خلافة
عمر ، ولا مدخل له في هذه القصة ، والذي أقامه عثمان في ذلك هو سعيد بن
العاص - ابن أخي أبان المذكور اهـ (٤) .

(١) نكت الانتصار لنقل القرآن ص ٢٥٨ ، شيخ القراء محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد في كتابه : الكواكب
الدرية ص ٢١ .

(٢) رواه الطحاوي في تأويل مشكل الآثار . (١٩٣/٤) .

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤٧/١) .

(٤) فتح الباري (٦٣٥/٨) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩/١) .

المبحث الثاني

الأحرف السبعة في جمع القرآن الكريم

- المراد بالأحرف السبعة .
- القول الراجح .
- الأحرف السبعة في الجمع النبوي وجمع أبو بكر للقرآن الكريم .
- الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية .

المراد بالأحرف السبعة :

اختلف العلماء في المراد من الأحرف السبعة في الأحاديث المذكورة اختلافاً كبيراً حتى قال السيوطي : اختلفَ في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً (١) .

والناظر في تلك الأقوال يقطع بأن أكثرها متداخل ، وكثيرٌ منها لا يُعلم قائله ، ولا يُعلم له دليلٌ يؤيده عند النظر والتمحيص ، قال المراسي (٢) هذه الوجوه كلها متداخلةٌ ، ولا أدري مستندها ، ولا عمّن نقلت ، ولا أدري لم خصّ كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر؛ مع أنّ كلها موجودة في القرآن ، فلا أدري معنى التخصيص! وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة ، وأكثرها يعارضه حديث عمرَ مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح ، فإنهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه ، إنّما اختلفا في قراءة حروفه، وقد ظنّ كثيرٌ من العوام أنّ المراد بها القراءات السبعة ، وهو جهلٌ قبيح (٣) .

والذي يستحق المناقشة من هذه الأقوال ستة أقوال :

القول الأول : أن الحديث من المشكل المتشابه الذي لا يُعلم معناه ، لأن الحرف

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/١٣١) .

(٢) هو شرف الدين محمد بن عبد الله السلمي المراسي ، عالم بالأدب والتفسير والحديث ، ضرير من أهل مرسية بالأندلس ، له ثلاثة تفاسير : الكبير والصغير والأوسط ، وله مؤلفات في النحو ، توفي سنة ٥٦٥ هـ . انظر سير أعلام النبلاء (٢٣/٣١٢) والأعلام للزركلي (٦/٢٣٣) .

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن (١/١٤١) ، قال أبو شامة : ظنّ قومٌ أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل . انظر فتح الباري (٨/٦٤٦) وقد تكلف الدكتور حسن ضياء الدين عتر الرد على هذا الوهم بما فيه كفاية ، وإن كان من الضعف بحيث لا يحتاج إلى ردّ . انظر الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ٣٤٦-٣٥٢ .

مشارك لفظي يصدق على معانٍ كثيرة ، كالكلمة والمعنى ، وحرف الهجاء والجهة ، ولم يُعيّن المراد منها في الحديث ، وهو قول أبي جعفر محمد النحوي (١). ويردُّ هذا القول بأنه لا يلزم من مجرد الاشتراك اللفظي الإشكال الصارف عن إدراك معنى المقصود؛ لأن المشترك اللفظي يترجح أحد معانيه بقرينة لفظية أو حالية ، وقد قامت القرائن على تعيين أحد المعاني ، ومنع ما عداه ، فلا يصح إرادة الكلمة هنا ، لأن القرآن مؤلف من كلمات كثيرة ، وليس من سبع فقط ، ولا يصح إرادة المعنى ، لأن معاني القرآن كثيرة جداً تفوق الحصر ، ولا يصح إرادة حرف الهجاء ، لأن القرآن مشتمل على جميع حروف الهجاء ، لا على سبعة منها فقط فتعيّن أن المراد بالحرف هنا هو الجهة وبذلك يبطل القول بإشكال معنى الحديث .

كما يرَدُّ بما ثبت في نص الحديث من أن النبي ﷺ أمر أن يقرئ أمته بهذه الأحرف ، وأنه قد فعل ، وأمر أمته أن تقرأ القرآن بها ، وقد فعلت ، فقرأ الصحابة رضي الله عنهم على هذه الأحرف ، فهي معلومة لدى الكثير منهم ، فلا يعقل أن يكون الحديث مع كل ذلك من المتشابه الذي لا يُدرى معناه ، ويردُّ أيضاً بأن الحديث نص على أن الحكمة من إنزال الأحرف السبعة هو التيسير على الأمة فكيف يتحقق التيسير بشيء مجهول ؟!

القول الثاني : أن حقيقة العدد غير مراده ، وذلك لأن لفظ السبعة يطلق في لسان العرب ويراد به الكثرة في الآحاد ، كما يطلق لفظ السبعين ويراد به الكثرة في العشرات ، ولفظ السبعمائة ويراد به الكثرة في المئات ، وهو مذهب القاضي عياض ونحو هذا المنحى القاسمي والرافعي (٢) ، ويردُّ هذا القول أن الأحاديث الواردة في هذا الأمر صريحة في إرادة حصر العدد في السبعة ، ففيها استزادة الرسول ﷺ من جبريل الأحرف حرفاً حرفاً ، وهذا قرينة على أن المراد العدد الآحاد الواقع بين الستة والثمانية (٣) .

(١) الإتيان في علوم القرآن (١/١٣١) ، والبرهان في علوم القرآن (١/٢١٣) .

(٢) انظر الإتيان في علوم القرآن (١/١٣١) ، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) (١/٢٨٧) .

(٣) انظر الإتيان في علوم القرآن (١/١٣٢) .

القول الثالث : أن المقصود سبعة أصناف من المعاني والأحكام ، وهي :
الحلال والحرام والأمر والزجر ، والمحكم والمتشابه ، والأمثال ، وقد استدلل أصحاب هذا الرأي بما روي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد ، وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زاجرٌ وأمرٌ ، وحلالٌ وحرامٌ ومحكمٌ ومتشابهٌ ، وأمثالٌ فأحلُّوا حلاله ، وحرَّموا حرامه ، وافعلوا ما أُمِرْتُمْ به ، وانتهوا عما نُهيْتُمْ عنه واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه وقولوا : آمنا به كل من عند ربنا (١) .

ويُنَاقَش هذا القول بأن هذا الحديث قد انتقده العلماء ، ولم يسلموا بصحته .
قال ابن عبد البر: وهو حديث عند أهل العلم لا يثبت، وهو مجمع على ضعفه (٢) .
قال الحافظ ابن حجر: وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم ، وفي تصحيحه نظرٌ ؛ لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود ، وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري عن أبي سلمة مرسلًا ، وقال : هذا مرسل جيدٌ (٣) .
كما أن سياق الأحاديث يأبى حمل المراد بالأحرف السبعة على هذه الوجوه بل هي ظاهرة في أن المراد أن الكلمة الواحدة تُقرأ على وجهين وثلاثة وأربعة إلى سبعة ، تهوينًا وتيسيرًا .

كما أن الشيء الواحد لا يكون حلالًا وحرامًا في آن واحد .
قال الطبري : ومعلومٌ أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك ، لو كان تماريًا واختلافًا فيما دلت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم ، والوعد والوعيد ، وما أشبه ذلك لكان مستحيلًا أن يصوب جميعهم (٤) ، ولذلك ذهب أبو علي الأهوازي وغيره إلى أن قوله : زاجرٌ وأمرٌ... استثناف كلام آخر ، أي هو زاجرٌ ، أي القرآن ، ولم يرد به تفسير الأحرف السبعة .

(١) رواه الطبري في مقدمة تفسيره ، باب القول في البيان عن معنى قول رسول الله ﷺ أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة (٣٠/١)

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢١٦/١) .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦٤٥/٨) .

(٤) تفسير الطبري ، المقدمة (٢١-٢٠/١) .

ويؤيد ذلك ما جاء في بعض روايات الحديث : زاجراً وآمراً... بالنصب ، أي : نزل على هذه الصفة، وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب لا للأحرف ، أي : هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه ، وأنزله الله على هذه الأصناف ، لم يقتصر منها على صنف واحد، كغيره من الكتب (١) قال ابن حجر : ومما يوضح أن قوله زاجرٌ وآمرٌ الخ ليس تفسيراً للأحرف السبعة: ما وقع في مسلم من طريق يونس عن ابن شهاب عقب حديث ابن عباس، قال ابن شهاب: بلغني أن تلك الأحرف السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام (٢) .

قال ابن عطية : هذا القول ضعيف ؛ لأن هذه لا تسمى أحرفاً ، وأيضاً فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام ، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة (٣) .

القول الرابع : أن المراد سبع لغات من لغات العرب الفصحى أنزل بها القرآن فهي متفرقة فيه ، لا على أن هذه اللغات تجتمع في الكلمة الواحدة (٤) ، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن يحيى ثعلب ، وصححه البيهقي ، واختاره ابن عطية ، وحكاه بعضهم عن القاضي أبي بكر الباقلاني (٥) ، ويكفي في ردّ هذا القول ما سبق من اختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في القراءة وهما قرشيان ، ولغتهما واحدة ، فدلّ على أن اختلافهما لم يكن في اللغات (٦) كما أن قولهم إن هذه اللغات مفرقة في القرآن الكريم مردودٌ بأنه لو كانت الأحرف السبعة لغات في مواضع متفرقة من القرآن لما حصل خلاف بين القراء في شيء من القرآن ؛ لأن كل موضع سيكون مقروءاً بوجه واحد ، ولما حصلت

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦٤٥/٨) ، وانظر تفسير الطبري، المقدمة (٣٠/١-٣١) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦٤٥/٨) ، وروى هذا البلاغ مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، صحيح مسلم مع شرح النووي (١٠١/٦) ح ٨١٩ .

(٣) انظر تفسير القرطبي، المقدمة (٣٤/١ - ٣٥) .

(٤) وقد اختلف القائلون بهذا القول في تعيين اللغات التي نزل بها القرآن اختلافاً كبيراً ، وليس هو من مقصود هذا البحث فليراجع من شاء في : البرهان (٢١٩/١-٢٢٠)، والإتقان (١٣٥/١-١٣٦) .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦٤٣/٨) ، والإتقان (١٣٥/١) ، والبرهان في علوم القرآن (٢١٧/١) ، والجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٢٢١/٥) .

(٦) انظر نكت الانتصار لنقل القرآن ص ١١٩ ، وفتح بشرح صحيح البخاري (٦٤٤/٨) .

المنافرة بين الصحابة عند سماع بعضهم قراءة بعض ، ويرد هذا القول أيضاً أن نزول القرآن على سبعة أحرف إنما كان تيسيراً على المكلفين ، بنص الحديث فلو فرض أن القرآن مؤلف من عدة لغات ، كل جزء من لغة ، لما أمكن أهل كل لغة أن يقرؤوا منه إلا جزءاً واحداً ، وهو النازل بلغتهم (١) .

القول الخامس : أن المراد سبع لغات ، ولكن على أن تكون في الكلمة الواحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ، كقول القائل : هلم ، وتعال ، وأقبل ، وإليّ ونحوي ، وقصدي ، وقُرْبِي ، وهو قول سفيان بن عيينة وابن جرير الطبري والطحاوي ، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء (٢) ، ويدل لهذا القول حديث أبي بكرَةَ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، قَالَ مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اسْتَرَدَّهُ ، فَاسْتَرَدَّهُ ، قَالَ : أَقْرَأُهُ عَلَى حَرْفَيْنِ ، قَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَرَدَّهُ فَاسْتَرَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ ، قَالَ : كُلُّ شَافٍ كَافٍ ، مَا لَمْ تَخْتَمْ آيَةً عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ ، أَوْ آيَةٍ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ ، نَحْوَ قَوْلِكَ تَعَالَى وَأَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَأَذْهَبْ وَأَسْرِعْ وَاعْجَلْ (٣) قال السيوطي : إسناده جيد (٤) ، ويجب عن هذا القول بأن الأحاديث التي احتجوا بها لا تدل على حصر الأحرف في نحو ما ذهبوا إليه ، وإنما بيّن الرسول ﷺ فيها الأحرف السبعة بمثال يوضح نوعية هذه الأحرف ، وأنها لا تؤدي إلى تناقض أو تضاد .

قال أبو عمر بن عبد البر: إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها ، أنها معانٍ متفقٌ مفهومها ، مختلفٌ مسموعها ، لا يكون في شيء منها معنى وضده ، ولا وجهٌ يخالفُ معنى وجهٍ خلافاً ينفيه ويضاده ، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده (٥) .

ويردُّ هذا القول أيضاً بأن الحكمة من تنزيل القرآن على سبعة أحرف هي التيسير على المكلفين ، لاختلاف ألسنتهم ، ولم يكن أكثر اختلاف العرب في استعمال

(١) انظر الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ، للدكتور حسن ضياء الدين عتر ، ص ١٧٢-١٧٣ .

(٢) الإتيان في علوم القرآن (١/١٣٤) ، وتفسير الطبري ، المقدمة (١/٢٥) ، وتأويل مشكل الآثار للطحاوي (٤/١٨٥-٤٨٨) .

(٣) رواه أحمد في مسنده ، مسند البصريين (٦/٣٧) ح ١٩٩٩٢ .

(٤) الإتيان في علوم القرآن (١/١٣٤) .

(٥) انظر البرهان في علوم القرآن (١/٢٢١) .

الألفاظ المترادفة بل أكثر اختلافهم إنما كان في اللهجات، من فكٍّ وإدغامٍ وفتح وإمالة ، وهمزٍ وتخفيفٍ ونحو ذلك ، ولا شك أن المشقة عليهم في هذه الأبواب أعظم من المشقة في استعمال هلمَّ مكان تعالَ أو أقبلُ ، كما أنه على قول ابن جرير لا يُدرى كيف يتخرَّج وجود الأوجه المتعددة من القراءات في المصاحف العثمانية ، وكلها مثبتة فيها ، سواء برسم واحدٍ ، أو برسمين .

القول السادس : أن المراد بالأحرف السبعة الأنواع التي يقع بها التغيرات والاختلاف في القراءات القرآنية ، أو في لغات العرب ، ولا يخرج عنها، نحو الاختلاف في إعراب الكلمة ، أو تغير صورتها بالزيادة أو النقصان ، أو اختلاف لغات العرب من الفتح والإمالة والإظهار والإدغام ، ونحو ذلك .

وهو قول أبي حاتم السجستاني وابن قتيبة وأبي الفضل الرازي، وابن الجوزي (١). والقائلون بهذا القول اختلفوا في تعيين الوجوه التي وقع بها التغيرات اختلافاً كبيراً : فذهب أبو حاتم السجستاني إلى أنها : إبدال لفظ بآخر ، وإبدال حرف بآخر والتقديم أو التأخير بين الألفاظ أو الحروف ، وزيادة حرف أو نقصانه ، واختلاف حركات البناء واختلاف الإعراب ، والاختلاف الصوتي بين الترخيم والإمالة والإظهار والإدغام (٢) .

ويرى ابن قتيبة والباقلاني أنها : الاختلاف بالتقديم والتأخير ، والاختلاف بالزيادة والنقصان والاختلاف بتغيير صورة اللفظ ومعناه ، والاختلاف بتغيير لفظ الكلمة ومعناها دون صورتها والاختلاف في بناء الكلمة ولفظها بما لا يغير كتابتها ولا معناها ، والاختلاف بما يغير الصورة واللفظ ، ولا يغير المعنى ، والاختلاف في حركات الإعراب والبناء (٣) .

ويرى أبو الفضل الرازي أنها : الاختلاف بين الأفراد والتنثية والجمع والاختلاف في تصريف الأفعال وما يسند إليها ، والاختلاف في وجوه الإعراب

(١) فتح الباري (٦٤٤/٨ - ٦٤٥) .

(٢) مقدمة كتاب المبانى ص ٢٢١ - ٢٢٨ ، والأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ١٤٨ - ١٥٣ .

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦ - ٣٨ ، والإتقان في علوم القرآن (١٣٢/١) .

والاختلاف بالزيادة والنقص ، والاختلاف بالتقديم والتأخير ، والاختلاف بقلب وإبدال كلمة بأخرى أو حرف بآخر واختلاف اللغات (١) .

وذهب ابن الجزري إلى أنها : الاختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة والاختلاف في الحركات بتغيير المعنى فقط ، والاختلاف في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة ، والاختلاف في الحروف بتغيير الصورة لا المعنى والاختلاف في الحروف بتغيير الصورة والمعنى ، والاختلاف في التقديم والتأخير والاختلاف بالزيادة والنقصان (٢) .

القول الرابع :

إذا نظرنا في الأخبار الواردة في الأحرف السبعة ، وتفحصنا ألفاظها ، لم نجد فيها عبارة صريحة تبين المراد بالأحرف السبعة ، والذي يظهر أن ذلك كان لوضوح المراد منها عند السلف الأول ، بشكل لا يحتاج معه إلى تفسير ، حتى تتحقق الحكمة من الرخصة ، فليس من المعقول أن يرخص لهم في شيء مجهول ولما كانت الحاجة في بداية الأمر إلى إزالة ما وقع في نفوس الصحابة رضي الله عنهم من شبهة وقوع التناقض والاضطراب ، أو التصرف في كتاب الله تعالى ، لأنهم ألفوا أول الأمر قراءة القرآن على وجه واحد ، ثم سمع بعضهم بعضاً يقرأ على أوجه متغايرة ، أزال النبي صلى الله عليه وسلم هذه الخواطر بأن أخبرهم بالرخصة ، وضرب لهم مثلاً على أنواع الاختلاف بين هذه الأوجه وأنه ليس من باب التناقض والتضاد ، بل من باب التنوع وزيادة المعاني ، وعند تدبر أوجه القراءات المتواترة التي نقلت إلينا نجد أن اللفظ الواحد قد يُقرأ بأوجه متعددة والناس إلى يومنا هذا يتناكرون عند سماع هذه الوجوه إذا لم يكن لهم سابق علم بها ، فالذي يظهر والله أعلم أن المراد من الأحرف السبعة في الحديث الشريف أوجه متعددة متغايرة من وجوه القراءة ، تكون في الكلمة القرآنية الواحدة ، بحيث تُقرأ على وجه واحد ، أو أكثر من وجه ، إلى سبعة أوجه (٣) ولا يلزم على هذا القول أن يكون في كل كلمة

(١) انظر الإتيان في علوم القرآن (١/١٣٣) .

(٢) النشر في القراءات العشر (١/٢٥-٢٨) ، والإتيان في علوم القرآن (١/١٣٣-١٣٤) .

(٣) هذا القول أشار إليه السيوطي في الإتيان (١/١٣٥) على طرفين هما القول الثالث والقول الرابع .

قرآنية أكثر من وجه ، بل توجد هذه الوجوه في بعض الكلمات دون بعض وقد ورد مثل ذلك في سورة الفرقان ، وقد جمع الحافظ ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري كل ما ورد من الخلاف في هذه السورة من القراءات المتواترة والشاذة ، فبلغت مواضع الخلاف فيها مائة وثلاثين موضعاً ، ولا يشكل عليه أيضاً ورود أكثر من ست قراءات في بعض الكلمات مثل قوله **وَعَلَّ** :

﴿ **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ** ﴾ ﴿ **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ** **وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ** ﴾ (٢)

فيها ست قراءات متواترة ، وهي:

﴿ **أَرْجِهْ** ﴾ دون همزة ، وبكسر الهاء من غير إشباع ، قرأ بذلك قالون وابن وردان .

﴿ **أَرْجِهْ** ﴾ كالوجه السابق ، لكن مع إشباع كسرة الهاء بوصلها بياء ، وقرأ بذلك ورش والكسائي وابن جمّاز ، وخلف في اختياره .

﴿ **أَرْجِيْهُ** و **أَرْجِيْهُ** ﴾ بالهمز ، مع ضم الهاء وإشباع ضمها بوصلها بواو ، وبذلك قرأ ابن كثير وهشام .

﴿ **أَرْجِيْهُ** ﴾ بالهمز ، مع ضم الهاء من غير إشباع ، وقرأ كذلك أبو عمرو ويعقوب .

﴿ **أَرْجِيْهِ** ﴾ بالهمز ، مع كسر الهاء من غير إشباع ، قرأ بذلك ابن ذكوان .

﴿ **أَرْجِهْ** ﴾ دون الهمز ، مع سكون الهاء ، وهي قراءة الباقيين من القراء العشرة (٣) .

(١) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٥٥) .

(٢) في موضعين : الآية ١١١ من سورة الأعراف ، والآية ٣٦ من سورة الشعراء .

(٣) النشر في القراءات العشر (١/٣١١-٣١٢) .

الأحرف السبعة في الجمع النبوي وجمع أبي بكر للقرآن

مرَّ بنا أن النبي ﷺ أمر أن يُقَرَأ أمته القرآن على سبعة أحرفٍ ، فلا شك أنه ﷺ قد قرأ على هذه الأحرف السبعة ؛ ليتعلمها منه أصحابه ، وينقلوها إلى الأمة من بعده .

وكان النبي ﷺ يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في رمضان من كل سنة ، فثبت الله ما يشاء وينسخ ما يشاء ، أو يأمر بالقراءة على حرف أو أكثر من الأحرف السبعة (١) .

قال ابن عبد البر : وقد يُشكل هذا القول على بعض الناس ، فيقول : هل كان جبريل يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات ؟ فيقال له : إنما يلزم هذا إن قلنا إن السبعة الأحرف تجتمع في حرف واحد ، ونحن قلنا كان جبريل يأتي في كل عرضة بحرف ، إلى أن تمرَّ سبعة (٢) .

وقد مرَّ بنا أن النبي ﷺ عرض القرآن على جبريل عليه السلام في العام الذي توفي فيه مرتين ولا شك أنه قد نسخ بعض القرآن في تلك العرضة ، كما نسخت بعض الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن .

ومن أمثلة ذلك حديث عائشة السابق في عدد الرضعات المحرمات . فعن عائشة أنها قالت : كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ ، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ (٣) . ففيه أن النبي ﷺ توفي ، وكانت هذه الآيات المنسوخات مما يتلى من القرآن ، مما يدل على أنها نسخت في آخر حياة النبي ﷺ ، وأغلب الظن أن ذلك إنما كان في العرضة الأخيرة .

فقد كانت العرضة الأخيرة مراجعة أخيرة للكتاب الحكيم ، عرض فيها القرآن مرتين ، فنسخ الله منه ما شاء ، وأثبت فيه ما كتب له البقاء . وقد وردت الروايات بحدوث النسخ لبعض آيات الكتاب في العرضة الأخيرة .

(١) انظر العرضة الأخيرة .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (٢٢٠/١) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الرضاع باب التحريم بخمس رضعات (٣١-٢٩/١٠) ح ١٤٥٢ .

فَعَنْ أَبِي ظَبْيَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَعُدُّونَ أَوَّلَ ؟ قَالُوا : قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : لَا بَلْ هِيَ الْآخِرَةُ ، كَانَ يُعْرَضُ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ ، فَشَهِدَهُ عَبْدُ اللَّهِ فَعَلِمَ مَا نُسِخَ مِنْهُ وَمَا بُدِّلَ (١) .

وقال البغوي : يُقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة ، التي بُيِّنَ فيها ما نُسخ وما بَقِيَ (٢) .

وقال ابن الجزري : ولا شك أن القرآن نُسخ منه وغيّر في العرضة الأخيرة ، فقد صحَّ بذلك النصُّ عن غير واحدٍ من الصحابة (٣) .

وكل ما نسخ في العرضة الأخيرة من القرآن أو من أوجه القراءة لم يُثبت في الجمعين النبوي والبكري .

ونستطيع أن نستخلص من العرض السابق الأمور الآتية :

١ - أن النسخ قد شمل بعض الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة ، ويدل على ذلك عدم ورود كلمة من الكلمات القرآنية تقرأ على أكثر من ستة أوجه من طريق متواتر .

وقد اعترض البعض على ذلك بأن موضوع النسخ لا يشمل الألفاظ .

قال ابن قدامة : وأحال قومٌ نسخ اللفظ ، فإن اللفظ إنما نزل ليُتلى ويُثاب عليه فكيف يُرفع ؟

والمقصود من ذلك أن النسخ : هو رفع حكم شرعي بخطاب متراخ عنه ، وليس في نسخ تلاوة اللفظ رفع حكم شرعي (٤) ، ثم أجاب ابن قدامة عن ذلك فقال : فإن التلاوة ، وكتابتها في القرآن ، وانعقاد الصلاة بها ، من أحكامها

(١) رواه أحمد في مسنده ، مسند بني هاشم (٥٩٨/١) ح ٣٤١٢ ، ورواه النسائي في السنن الكبرى كتاب فضائل القرآن (٧/٣) ، وكتاب المناقب (٣٦/٤) .

(٢) شرح السنة (٥٢٥/٤) .

(٣) النشر في القراءات العشر (٣٢/١) ، وانظر الإتيان في علوم القرآن (١٤٢/١) .

(٤) انظر روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (١٩٠/١) .

وكل حكم فهو قابل للنسخ ، وأما تعلقها بالمكلف في الإيجاب وغيره فهو حكم أيضاً يقبل النسخ (١) .

٢ - أن الأحرف السبعة لم تنسخ كلها ، لأن الأصل إباحة القراءة بها ، ولم يدل دليل على نسخ تلك الإباحة في زمن النبي ﷺ .

٣ - أنه لا يُعلم قدر ما نسخ من الأحرف السبعة في حياة النبي ﷺ ، إذ لا دليل عليه ، ويرى بعض العلماء أن المنسوخ من تلك الأحرف أكثر مما بقي نظراً لما يروونه من الكثرة العظيمة في الروايات التي تعج بها كتب التفسير من القراءات غير الثابتة، باعتبار أنها في أحسن أحوالها قراءات منسوخة .

وقد اتفق العلماء على أن جمع القرآن في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقي على نفس الصورة التي تركها عليه النبي ﷺ ، ولم يتغير منه شيء ، سواء في ذلك من رأى أن الأحرف السبعة باقية كلها ، ومن قال إن الأحرف نسخت ولم يبق إلا واحد ، ومن ذهب إلى أن الباقي بعض الأحرف السبعة (٢) .

(١) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (٢٠١/١-٢٠٢) .

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢٢٣/١) ، ومناهل العرفان (٢٥٣/١-٢٥٤) .

الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية

اختلف العلماء في بقاء الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية - بناءً على اختلافهم في المراد بالأحرف السبعة - على ثلاثة أقوال :

القول الأول

أن المصاحف العثمانية اشتملت على حرف واحد فقط من الأحرف السبعة وهو حرف قريش ، وأن الأحرف الباقية إما نسخت في زمن النبي ﷺ أو اتفق الصحابة على تركها درءاً للفتنة التي كادت تفتك بالأمة عندما اختلف الناس في قراءة القرآن وإلى ذلك ذهب ابن جرير الطبري، وأبو جعفر الطحاوي، وابن حبان والحاثر المحاسبي وأبو عمر بن عبد البر ، وأبو عبيد الله بن أبي صفرة (١) . وقال أبو شامة: وصرح أبو جعفر الطبري والأكثر من بعده بأنه حرف منها (٢). قال ابن عبد البر : فهذا معنى الأحرف السبعة المذكورة (٣) في الأحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث ، منهم سفيان بن عيينة ، وابن وهب ، ومحمد بن جرير الطبري ، والطحاوي وغيرهم ، وفي مصحف عثمان الذي بأيدي الناس منها حرف واحد (٤) .

وقال أبو عبيد الله بن أبي صفرة : هذه القراءات السبع إنما شرعت من حرف واحد من السبعة المذكورة في الحديث ، وهو الذي جمع عثمان عليه المصحف وهذا ذكره النحاس وغيره (٥) ، وهذا القول مبني على القول بأن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات في الكلمة الواحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ، وهو قول ابن جرير ومن وافقه .

فقد رأى القائلون بهذا القول ندرة الكلمات القرآنية التي يصدق عليها ما رأوه في المراد بالأحرف السبعة ، فقالوا إنها نسخت ، أو اتفق الصحابة على منع القراءة بها ، وكتبوا المصاحف على حرف واحد ، هو لسان قريش .

(١) انظر البرهان في علوم القرآن (٢٢٤/١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١) ، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٠٠/٦) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢٢٣/١) .

(٣) يعني القول بأنها أوجه من المعاني المتفقة ، بالألفاظ المختلفة ، نحو أقبل ، وهلم ، وتعال... الخ .

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن (٢٢٠/١) .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٠٠/٦) .

واحتج القائلون بهذا القول بأدلة منها : قول عثمان رضي الله عنه للرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ :
إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوا بِلسَانِ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّمَا
نَزَلَ بِلسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ (١)

قالوا : وهذا يدل على أنهم جمعوا القرآن على حرف واحد ، وهو لسان قريش
وتركوا ما سوى ذلك من الأحرف الستة ، أن الأحرف السبعة كانت في أول الأمر
خاصة ؛ للضرورة لاختلاف لغة العرب ومشقة أخذ جميع الطوائف بلغة واحدة
فلما كثر الناس والكتاب وارتفعت الضرورة ارتفع حكم هذه السبعة ، ورجح ذلك
قيام الخلاف بين القراء ، بما كاد يؤدي إلى فتنة عظيمة ، فأجمعت الأمة بقيادة
إمامها الناصح الشفيق عثمان بن عفان رضي الله عنه على أن تقتصر على حرف واحد من
الأحرف السبعة ، جمعاً لكلمة المسلمين ، فأخذت به وأهملت كل ما عداه ، فعاد ما
يُقرأ به القرآن على حرف واحد (٢) ، أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن
واجبة على الأمة ، وإنما كانت جائزة لهم مرخصاً لهم فيها ، وقد جعل إليهم
الاختيار في أي حرف اختاروه ، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا
لم يجتمعوا على حرف واحد ، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً شائعاً ، وهم معصومون
من الضلالة ، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام (٣) ، ثم اختلف القائلون
بأن الباقي من الأحرف السبعة هو حرف واحد ، هل نسخت الأحرف الستة في
حياة النبي صلوات الله عليه ، أو أن الصحابة اتفقوا على تركها ؟ فذهب أكثرهم إلى أنها
نسخت في حياة النبي صلوات الله عليه ، واستقر الأمر على حرف واحد وذلك بعدما لانت
السنة العرب بالقرآن ، وتمكن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة .

قال القرطبي : ثم اختلفوا : هل استقر في حياته صلوات الله عليه أو بعد وفاته ؟ والأكثر
على الأول (٤) .

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب نزل القرآن بلسان قريش (٦/٦٢١) ح ٣٥٠٦ .

(٢) تأويل مشكل الآثار للطحاوي (٤/١٩٠-١٩١) ، وانظر : صحيح مسلم بشرح النووي (٦/١٠٠) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٣٩٥-٣٩٦) .

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن (١/٢١٣) .

القول الثاني

أن المصاحف العثمانية اشتملت على جميع الأحرف السبعة ، ولم تُهمل منها حرفاً واحداً .

وهو ما ذهب إليه جماعات من القراءة والفقهاء والمتكلمين ، وهو الذي اختاره القاضي الباقلاني وابن حزم والداودي وغيرهم .

قال القاضي الباقلاني : الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ ضبطها عنه الأئمة ، وأثبتها عثمان والجماعة في المصحف وأخبروا بصحتها ، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواتراً ، وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضاربة ولا متنافية (١) .

وقال الداودي : وهذه القراءات السبع التي يقرأ الناس اليوم بها ليس كل حرف منها هو أحد تلك السبعة ، بل تكون مفرقة فيها (٢) .
واستدلوا على ذلك بأدلة منها :

• أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة ؛ لأنها قرآن منزل .

• أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر ، وقد كانت مشتملة على الأحرف السبعة ، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك (٣) .

• أن الأحرف السبعة كان مرخصاً فيها ، ولا يجوز أن يُنهى عن القراءة ببعض المرخص فيه ، إذ ليس بعضه بأولى من بعض (٤) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٠٠/٦) ، والبرهان في علوم القرآن (٢٢٣/١-٢٢٤) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٠٠/٦) .

(٣) الإتيان في علوم القرآن (١٤١/١-١٤٢) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩٥-٣٩٦) .

- أن الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف كانت التيسير على الأمة في تلاوة القرآن ، والتيسير ما زال محتاجاً إليه ، إذ لم تكن قراءة القرآن على حرف واحد في العصر الأول بين العرب الأقحاح أصعب منها على من أتى بعدهم من المسلمين في العصور المتأخرة ، وقد فشأ فيهم اللحن والعجمة ، فهم أحوج إلى التيسير من العرب الأول .

القول الثالث

أن المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة ، متضمنة لما ثبت في العرضة الأخيرة .

قال ابن الجزري : وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام متضمنة لها ، لم تترك حرفاً منها .

قال : وهذا القول هو الذي يظهر صوابه ؛ لأن الأحاديث الصحيحة ، والآثار المستفيضة تدلُّ عليه ، وتشهد له (١) ، واحتج أصحاب هذا القول بما احتج به أصحاب المذهب الثاني على بقاء بعض الأحرف السبعة ، والحاجة إليها ، واحتجوا على أن السبعة لم تبقى كلها بما ورد من الآثار التي تدل على حدوث النسخ في العرضة الأخيرة لبعض أوجه القراءة ، فكتب الصحابة في المصاحف عند الجمع ما تيقنوا أنه قرآن ثابت في العرضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك . قال السيوطي : ولا شك أن القرآن نسخ منه في العرضة الأخيرة وغير ، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر في العرضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك (٢) .

(١) النشر في القراءات العشر (٣١/١) ، وانظر الإتيان في علوم القرآن (١٤١/١-١٤٢) .

(٢) الإتيان في علوم القرآن (١٤٢/١) .

وقال البغوي في شرح السنة : يُقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نُسخ وما بقي ، وكتبها لرسول الله ﷺ ، وقرأها عليه ، وكان يُقرأ بها الناس حتى مات ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه ، وولاه عثمان كتب المصاحف (١) .

وقد وردت الآثار بأن القرآن قد نسخ منه وغير في العرضة الأخيرة ، وأن قراءتنا التي جمعها الصحابة هي ما كان في تلك العرضة .

فَعَنْ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : الْقِرَاءَةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَامِ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ - هَذَا الْقِرَاءَةُ الَّتِي يقرأها الناس (٢) ، يعني بذلك قراءة زيد بن ثابت رضي الله عنه .

وعن سمرة رضي الله عنه قال : عُرِضَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرْضَاتٍ ، فيقولون : إن قراءتنا هذه العرضة الأخيرة (٣) .

وعن ابن سيرين ، قال : كان جبريل يعارض النبي ﷺ كل سنة في شهر رمضان مرة ، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين ، فيرون أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الأخيرة (٤) .

(١) شرح السنة للإمام البغوي (٥٢٥/٤-٥٢٦) .

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١٥٥/٧-١٥٦) .

(٣) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي . مستدرک الحاكم (٢/٢٣٠) ، ورواه البزار في مسنده ، قال الهيثمي : رجاله رجال

الصحيح . مجمع الزوائد (١٥٤/٧) .

(٤) أخرجه ابن أشتة ، انظر الإتيان في علوم القرآن (١٤٢/١) .

القول الرابع في الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية

والقول الذي يظهر صوابه هو ما ذهب إليه جماهير العلماء من السلف والخلف من أن الباقي من الأحرف السبعة هو ما ثبت في العرضة الأخيرة ، وأن الصحابة رضي الله عنهم لم يختاروا بعض الأحرف الثابتة دون بعض ، بل دونوا ونقلوا كل ما ثبتت قرآنيته ، وتركوا ما سوى ذلك .

ولكن ينبغي التنبيه إلى أن قولهم : إن المصاحف غير مشتملة إلا على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة ، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل ، متضمنة لها لم تترك حرفاً منها فيه نوع تناقض ، إذ قد يفهم منه أن هناك شيئاً من الأحرف السبعة عرضه النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل في العرضة الأخيرة ولم يكتبه الصحابة في المصاحف العثمانية .

فالأولى أن يقال جامعة للعرضة الأخيرة ، ويلغى التقييد بما يحتمله رسم المصاحف ، إذ قد علمنا أن الصحابة رضي الله عنهم قد كتبوا مصاحف متعددة ، وفاوتوا بينها ليحتمل البعض منها من أوجه القراءة ما لا يحتمله البعض الآخر ، ويدل على صحة هذا القول مجموع الأدلة السابقة فلا شك أن الحكم ببقاء الأحرف السبعة أو عدم بقائها مبني على المراد بالأحرف السبعة ونحن إذا نظرنا إلى كافة الأقوال التي ذكرناها في المراد بالأحرف السبعة ، بقطع النظر عن الراجح منها وجدنا في القرآن بعض تلك الأوجه بلا شك ، أما على القول بأن الحديث مشكل لا يدرى معناه ، فلا إشكال في بقاء الأحرف السبعة أو عدم بقائها ، فليس لهذا القول — على ضعفه الشديد — أثر على اعتبار الأحرف السبعة باقية أو غير باقية.

وأما على القول الثاني القائل بأن حقيقة العدد غير مراده ، بل المراد الكثرة فلا إشكال أيضاً إذ القراءات المتواترة التي نقلت إلينا فيها كثرة ظاهرة ، لا يمكن معها الزعم بأن كل هذه الاختلافات هي حرف واحد .

وأما على القول الثالث القائل بأن المقصود سبعة أصناف من المعاني والأحكام ، وهي : الحلال والحرام ، والأمر والزجر ، والمحكم والمتشابه والأمثال ، فلا شك أن القرآن المنقول إلينا فيه كل ذلك ، وهو أمر ظاهر جلي .

على أن كل الأوجه السابقة في غاية الضعف .

وأما على القول الرابع القائل بأن المراد سبع لغات من لغات العرب الفصحى متفرقة في القرآن لا تجتمع في الكلمة الواحدة ، فذلك أيضاً كثير في القرآن ، فقد ورد فيه من غير لسان قريش شيء كثير ، وقد أفرد به بعض العلماء بالتصنيف ، ونقل السيوطي من ذلك الكثير في باب أفردته فيما وقع بغير لغة الحجاز ، وذكر فيه ما وقع في القرآن على نحو ثلاثين لغة من لغات العرب .

وقد سبق الرد على هذا القول وبيان ضعفه (١) .

وأما على القول الخامس القائل بأن المراد سبع لغات تكون في الكلمة الواحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ، فهو الذي دعا أصحاب القول الأول إلى زعم أن الأحرف الستة غير باقية في القرآن ، وعلى فرض التسليم بأن قولهم هو الصواب في المراد بالأحرف السبعة في الحديث ، فإنه ما زال في القرآن كلمات تقرأ باختلاف في اللفظ ، مع اتفاق المعنى ، ومن أمثلة ذلك من القراءات المتواترة : قوله - جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ

وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (٢) فقرأ حمزة والكسائي

بالتاء المثلثة ، والباقون بالباء ، واللفظان متوافقان في المعنى (٣) قوله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى

إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ ، وقوله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ

فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٤)

فقد قرأها الجمهور هكذا

(١) انظر الإتيان في علوم القرآن (٨٩/١-١٠٤) ، والبرهان في علوم القرآن (٢٨٣/١-٢٨٦) .

(٢) من الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

(٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ١٥٧ ، والنشر في القراءات العشر (٢٢٧/٢) .

فَتَبَيَّنُوا من التبيين (١) وقرأ حمزة والكسائي وخلف في اختياره : من التثبت (٢)

فَتَنَبَّهُوا والتبيين والتثبت متفقان في المعنى (٣) . قوله **وَعَجَلًا** : **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ**

الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ **﴿٤﴾** (٤) فقد قرأ عاصمٌ هكذا من البشر ، جمع

بشير ، وقرأ الباقر من النشر ، فقرأ حمزة والكسائي وخلف في اختياره : **نَشْرًا**

على أنه حال ، أي : ناشرةً ، أو منشورةً ، أو ذات نشرٍ ، وقرأ أبو جعفرٍ ونافع

وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب : **{نُشْرًا}** ، بضم النون والشين جمع ناشر ، وقرأ

عبد الله بن عامر : **{نُشْرًا}** بضم النون وسكون الشين ، كالسابق مع التخفيف

بتسكين الشين والبشر والنشر متوافقان في المعنى (٥) .

وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ السَّادِسِ بأن المراد بالأحرف السبعة الأنواع التي يقع بها التغيرات

والاختلاف في القراءات القرآنية ، أو في لغات العرب ، فالموجود منها في

القراءات المتواترة يفوق الحصر ، وهو كل ما اختلف فيه القراء من فتح

وإمالة ، وإثبات وحذف واختلاف حركات الإعراب ، والزيادة والنقصان (٦) .

ومن أظهر الأدلة على أن الصحابة عندما نسخوا المصاحف في زمن عثمان رضي الله عنه

كتبوا كل ما ثبت عرضه في العرضة الأخيرة من الأحرف السبعة -اختلافُ

المصاحف العثمانية وتفاوتتها ، كما مرَّ بنا (٧) ، إذ لو كانت مكتوبة بلغة واحدة

على حرف واحد لما كان بينها اختلافٌ .

أما استدلالهم بقول عثمان رضي الله عنه : **فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ** ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فقد سبق

بيان أن ما نقل إلينا متواترًا من القرآن فيه الكثير من غير لغة قریش ، وسبق

أيضًا بيان أن مراد عثمان رضي الله عنه من ذلك أن أكثر القرآن ومعظمه نزل بلسانهم ، أو

(١) من الآية ٩٤ من سورة النساء .

(٢) من الآية ٦ من سورة الحجرات .

(٣) النشر في القراءات العشر (٢٥١/٢) .

(٤) من الآية ٥٧ من سورة الأعراف .

(٥) انظر النشر في القراءات العشر (٢٦٩/٢-٢٧٠) ، وإتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٦ .

(٦) انظر : والنشر في القراءات العشر (٢٥/١-٢٨) ، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦-٣٨ ، والإتقان في علوم القرآن

(١/١٣٢-١٣٤) .

(٧) انظر المبحث الأول من الفصل الثاني " جمع القرآن في زمن عثمان رضي الله عنه " .

أن ابتداء نزوله كان كذلك ، وعليه فلا إشكالي في هذا الأثر على القول بأن بعض الأحرف باقية إذ ليس فيه أن عثمان رضي الله عنه أمر بإلغاء تلك الأحرف (١) .
قال الباقلاني : ومعنى قول عثمان : إنه أنزل بلسان هذا الحي من قريش أي : معظمه وأكثره نزل بلغتها ، ولم تقم حجة قاطعة على أن القرآن بأسره نزل بلغة قريش ويجزئ من الدليل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

ولم يقل قريشاً... (٢) كما أن قول عثمان رضي الله عنه : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ... يدل على أنه لم يأمر بإلغاء الأحرف السبعة ، فاللفظ صريح في أنه أمر بإثبات لغة قريش عند الاختلاف فقط ، أما عند الاتفاق فليكتبوا بأي لغة صح أن النبي صلوات الله عليه قرأ بها في العرضة الأخيرة ولم ينقل إلينا أنهم اختلفوا في شيء إلا في لفظ (التابوت) كما مر (٣) . وأما احتجاجهم بأن الأحرف السبعة كانت في أول الأمر ضرورة لاختلاف لغات العرب ، ومشقة أخذ جميعهم بلغة واحدة ، فقد سبق الكلام على أن المشقة ما زالت باقية ، فما زال في الأمة : (العجوز والشيوخ الكبار والغلام والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط) ، بل لعلها الآن أشد مما كانت عليه فيما مضى . وأما قولهم إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، فنحن نوافق على ذلك ، ولكن نخالف في أن القراءة غير الحفظ ، فإنه وإن لم يكن واجباً على الأمة أن تقرأ بالأحرف السبعة جميعها ، فإنه لا شك أن حفظ هذه الأحرف التي هي بعض القرآن من الضياع واجب على الأمة .

ويدل على بقاء الأحرف التي ثبتت في العرضة الأخيرة أيضاً أنه قد ثبت أن كتاب المصاحف في زمن عثمان إنما انتسخوا ما كتبه الصديق في الصحف في مصاحف وأرسلوها إلى الأمصار ، وقد علمنا أن جمع أبي بكر للقرآن لم يبلغ شيئاً مما ثبت في العرضة الأخيرة باتفاق ، فثبت بذلك أن جمع عثمان لم ينقص شيئاً

(١) انظر البرهان في علوم القرآن (٢٨٤/١) ، ونكت الانتصار لنقل القرآن ص ٣٨٥ ، وفتح الباري (٦٢٥/٨) .

(٢) من الآية ٣ من سورة الزخرف .

(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن ص ٣٨٥ .

(٤) انظر : كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٢٦ ، وفتح الباري (٦٣٥/٨) . وتأويل مشكل الآثار للطحاوي (١٩٣/٤) ، وقد مر الحديث عن ذلك في الفصل الثالث من الباب الثالث .

مِمَّا جَمَعَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : ... فَأَرْسَلَ عُمَانُ إِلَى حَفْصَةَ : أَنْ أُرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسُخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُمَانَ ، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ ابْنُ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ (١) . ويردُّ دعوى أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ نسخ المصاحف ألغى الأحرف الستة واقتصر على حرف واحد - أنه لم يرد في خبر صحيح ، ولا ضعيف أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر كتاب المصاحف أن يقتصروا في كتابتها على حرف واحد وبلغوا الستة الباقية (٢) .

ويردُّ هذه الدعوى أيضًا أنه لو صحَّ أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع الناس على حرف واحد وألغى الستة الباقية ، وأجمع معه على ذلك الصحابة لكان ذلك كافيًا في القطع بالمراد بالأحرف الستة ، ولما اختلف العلماء بعد ذلك في المراد منها كل هذا الاختلاف ، ولما حصل خلاف بعد الإجماع الأول في بقاء الأحرف السبعة من عدمه ، إذ الإجماع حجة عند المسلمين ولا يسوغ بعده خلاف (٣) . ومِمَّا يرد به هذا القول أيضًا أنه يحمل طعنًا في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، واتِّهامًا لهم بالتصرف برأيهم في كتاب الله تعالى ، ولا يكاد يصدق مؤمنٌ يعلم قدر الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قرر برأيه إلغاء الأحرف الستة والإبقاء على حرف واحد ، ولا يكاد يتصور أيضًا أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم كثرة كاثرة في ذلك الوقت يقرونه على ذلك الفعل .

والخلاف الذي زعموا أنه استدعى إلغاء تلك الأحرف كان قد حصل مثله في زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في الروايات التي أوردناها قريبًا في أول هذا الباب ، فلم يؤدَّ إلى إلغاء الأحرف المنزلة ، بل أرشدهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن القرآن أنزل على جميع تلك الأوجه ، وأقر كل واحد من المختلفين على قراءته .

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن (٦٢٦/٨) ح ٩٨٧ ، .

(٢) لا يخفى أن الحديث الذي هو عمدة القائلين بذلك القول في أمر عثمان الكتاب بأن يرجعوا إلى لغة قريش عند الاختلاف لا يدل على الأمر بإلغاء الأحرف الستة، إذ قصارى ما فيه -كما أسلفنا- الاقتصار على لغة قريش عند الاختلاف فقط .

(٣) انظر مناهل العرفان (١/١٧٨) .

ويدل أيضاً على عدم صحة هذه الدعوى أن عثمان رضي الله عنه لو أراد أن يجمع مصاحف الناس جميعاً لما استطاع ، ولو استطاع لما قدر على أن يسلبهم ما يحفظون من الكتاب ، إذ قد كانت دولة الإسلام في ذلك الوقت متسعة إلى حدّ يستحيل معه مثل هذا، فجمعه رضي الله عنه كان أن كتب للناس مصاحف أئمة يُرجع إليها عند الاختلاف .

قال ابن حزم : كل هذا (١) باطلٌ ببرهان كالشمس ، وهو أن عثمان رضي الله عنه لم يلِ إلاّ جزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد ، والقراء يعلمون الصبيان والنساء ، وكل من هبّ ودبّ ، واليمن كلها في أيامه مدن وقرى والبحرين كذلك ، وعُمان كذلك ، وهي بلاد واسعة ، مدن وقرى وملكها عظيم ومكة والطائف ، والمدينة والشام كلها كذلك، في كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصي عددهم إلا الله سبحانه وحده ، فلو رام عثمان ما ذكروا ما قدروا على ذلك أصلاً .

وأما قولهم : إنه جمع الناس على مصحف ، فباطلٌ ، ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا ولا ذهب عثمان قطُّ إلى جمع الناس على مصحف كتبه ، إنما خشي عثمان رضي الله عنه أن يأتي فاسقٌ يسعى في كيد الدين ، أو أن يهّمَ واهمٌ من أهل الخير فيبدّل شيئاً من المصحف ، فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجمعة عليها ، وبعث إلى كل أفق مصحفاً، لكي — إن وهم واهمٌ ، أو بدّل مبدّل — رُجع إلى المصحف المجمع عليه ، فأنكشف الحق ، وبطل الكيد والوهم .

وأما قول من قال أبطل الأحرف الستة ، فقد كذب من قال ذلك ، ولو فعل عثمان ذلك وأراد له خراج عن الإسلام ، ولما مطل ساعة ، بل الأحرف السبعة عندنا موجودة كلها قائمة كما كانت ، مبنوثة في القراءات المشهورة المأثورة والحمد لله رب العالمين (٢) .

(١) يعني دعوى أن عثمان رضي الله عنه جمع الناس على حرف واحد وترك الأحرف الستة .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٢١٢-٢١٣) .

وأما القول الثاني القائل بأن جميع الأحرف السبعة باقية فيردُّ بما مرَّ من ثبوت وقوع النسخ لبعض وجوه القراءة في العرصة الأخيرة ، وكذلك بأنه لا يوجد في القرآن ما يقرأ على سبعة أوجه بالنظر إلى الخلاف في المراد بالأحرف السبعة على أغلب الأقوال ، إلا باعتبار وجوه القراءة الشاذة ، ولا يخفى أن الشاذ لا يثبت له الحكم بالقرآنية حتى تبني عليه مثل هذه المسألة .

والخلاصة :

أننا إذا نظرنا إلى حقيقة الخلاف بين الفريقين الثاني والثالث وجدناه خلافاً شكلياً إذ كلاهما متفقٌ على أن الصحابة لم يزدوا ولم ينقصوا ممَّا عرض في العرصة الأخيرة شيئاً وإنما اختلفوا هل الأحرف كلها بقيت في العرصة الأخيرة أم لا ، ولا يخفى أن النسخ قد ورد على كثير من تلك الأحرف كما مرَّ بنا فخلافتهم إذن هو في حصول ذلك النسخ أو عدم حصوله ، وأما الفريق الأول القائل بأن الباقي حرف واحد ، فأكثرهم يرى أن ذلك لثبوت النسخ وعدم العرض في العرصة الأخيرة ، وهو ما يوافق القولين الثاني والثالث ، وإذا أصبح الخلاف شكلياً أيضاً ، باعتبار أن البعض يرى أن اختلاف القراء هو الأحرف السبعة المذكورة في الحديث ، والبعض يرى أن هذا الاختلاف هو حرف واحد ، مع اتفاق الجميع على أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقصوا ممَّا عرض في العرصة الأخيرة شيئاً .

وأما الذين يرون أن الصحابة رضي الله عنهم اتفقوا على أن تركوا ستة أحرف وجمعوا الناس على حرف واحد بتصرف منهم واتفاق ، بعد أن ترك النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم الأحرف السبعة وقرأ الناس بها زمن أبي بكر وعمر وصدرًا من خلافة عثمان فهو لاء هم الذين اختلفنا معهم ، وناقشنا أدلتهم ورددنا عليها .

أحاديث الأحرف السبعة

ملحوظة هذه الأحاديث جمعت على سبيل المثال لا الحصر

أحاديث البخاري

٢٢٤١ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَ نِهَا وَكَدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ثُمَّ لَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتُهَا فَقَالَ لِي أَرْسَلُهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْرَأْ فَقَرَأَ قَالَ هَكَذَا أَنْزَلْتُ ثُمَّ قَالَ لِي أَقْرَأْ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أَنْزَلْتُ إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ .

٢٩٨٠ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَقْرَأْنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ .

٤٦٠٧ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَقْرَأْنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَأَيْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ .

٤٦٠٨ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الْقَارِيِّ حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَائَتِهِ فَإِذَا هُوَ

يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقَرِّئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَذَبْتُ
أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّيْتُهِ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ
الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ قَالَ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ كَذَبْتَ فَإِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ فَاِنْطَلَقْتُ بِهِ أَقُوْدُهُ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ
عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقَرِّئْنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسِلْهُ أَقْرَأْ يَا
هَشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ اقْرَأْ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مَا
تَيَسَّرَ مِنْهُ .

٤٦٥٣ : حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ
عَنْ حَدِيثِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بْنَ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ إِذَا هُوَ يَقْرُؤُهَا عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ
يُقَرِّئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَذَبْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَاِنْتَظَرْتُهُ حَتَّى
سَلَّمَ فَلَبَّيْتُهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ قَالَ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ كَذَبْتَ فَوَاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَهُوَ أَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ فَاِنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ أَقُوْدُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ
تُقَرِّئْنِيهَا وَإِنَّكَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الْفُرْقَانِ فَقَالَ يَا هِشَامُ اقْرَأْهَا فَقَرَأَهَا الْقِرَاءَةَ الَّتِي
سَمِعْتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ اقْرَأْ يَا عُمَرُ
فَقَرَأْتُهَا الَّتِي أَقْرَأَنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مَا
تَيَسَّرَ مِنْهُ .

٦٩٩٥ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي
عُرْوَةُ أَنَّ الْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الْقَارِيِّ حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَائَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ
يُقَرِّئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى
سَلَّمَ فَلَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ قَالَ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ كَذَبْتَ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ
أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ
الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقَرِّئْنِيهَا فَقَالَ أَرْسَلُهُ أَقْرَأُ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأُ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الَّتِي أَقْرَأَنِي فَقَالَ كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَ
عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ .

أحاديث مسلم

١٣٥٤ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ
الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ
هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بْنَ حَزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِيهَا فَكَدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ثُمَّ
لَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي
سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلُهُ أَقْرَأُ فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا أَنْزَلْتُ ثُمَّ قَالَ لِي أَقْرَأُ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أَنْزَلْتُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ
وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمُسَوَّرَ بْنَ
مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الْقَارِيِّ أَخْبَرَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ
سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ وَزَادَ فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ كِرْوَايَةً يُؤْنَسُ بِإِسْنَادِهِ .

١٣٥٥ : وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُؤْنَسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاغْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَرْيِدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ بَلَّغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الْأَحْرُفُ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِدًا لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ .

١٣٥٦ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّيُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَا فَحَسَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشَيْنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفَضْتُ عَرْقًا وَكَانَمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا فَقَالَ لِي يَا أَبُي أُرْسِلْ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ أَقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ أَقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَمْ يَكُلْ رَدَّةً رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةً تَسْأَلُنِيهَا فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِمَتِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِمَتِّي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَرٍ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى أَخْبَرَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَرَأَ قِرَاءَةً وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ .

١٣٥٧ : وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ عَنْ شُعْبَةَ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنْ أُمِّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنْ أُمِّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنْ أُمِّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ .

أحاديث الترمذي

٢٨٦٧ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَّالُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ أَخْبَرَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ مَرَرْتُ بِهَيْشَامِ بْنِ حَكِيمٍ بِنِ حِزَامٍ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَعْتُ قِرَاءَتَهُ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقَرِّئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكِدْتُ أَسْأُورُهُ فِي الصَّلَاةِ فَانْظَرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَمَّا سَلَّمَ لَبَّيْتُهِ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرُؤُهَا فَقَالَ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ لَهُ كَذَبْتَ وَاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُوَ أَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي تَقْرُؤُهَا فَانْطَلَقْتُ أَقُودُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقَرِّئْنِيهَا وَأَنْتَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الْفُرْقَانِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلُهُ يَا عُمَرُ أَقْرَأْ يَا هَيْشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا

أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ بِالْقِرَاءَةِ الَّتِي أَقْرَأَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَافْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ الْمُسَوِّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ .

٢٨٦٨ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلَ فَقَالَ يَا جَبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيئِينَ مِنْهُمْ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأُمِّ أَيُّوبَ وَهِيَ امْرَأَةُ أَبِي أَيُّوبَ النَّصَارِيِّ وَسَمُرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي جُهَيْمٍ بِنِ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَأَبِي بَكْرَةَ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ .

أَحَادِيثُ النَّسَائِيِّ

٩٢٧ : أَخْبَرَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ أَنْبَأَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى قَالَ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ ابْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بِنِ حَزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فَقَرَأَ فِيهَا حُرُوفًا لَمْ يَكُنْ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأْنِيهَا قُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ كَذَبْتُ مَا هَكَذَا أَقْرَأَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ أَقُوذُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الْفُرْقَانِ وَإِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ فِيهَا حُرُوفًا لَمْ تَكُنْ أَقْرَأْتَنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ كَمَا كَانَ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ اقْرَأْ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ .

٩٣٢ : أَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي قَالَ مَا حَاكَ فِي صَدْرِي مُنْذُ أَسَلَمْتُ إِلَّا أَنِّي قَرَأْتُ آيَةً وَقَرَأَهَا آخَرُ غَيْرَ قِرَاءَتِي فَقُلْتُ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ الْآخَرُ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَقْرَأْتَنِي آيَةً كَذَا وَكَذَا قَالَ نَعَمْ وَقَالَ الْآخَرُ أَلَمْ تُقَرِّئْنِي آيَةً كَذَا وَكَذَا قَالَ نَعَمْ إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَتَيَانِي فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ قَالَ مِيكَائِيلُ اسْتَرِدَّهُ اسْتَرِدَّهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ فَكُلُّ حَرْفٍ شَافٍ كَافٍ .

أحاديث أبي داود

١٢٦١ : حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأْنِيهَا فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انصَرَفَ ثُمَّ لَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ لِي اقْرَأْ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ فَارِسٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ قَالَ قَالَ الزُّهْرِيُّ إِنَّمَا هَذِهِ الْأَحْرَفُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ لَيْسَ تَخْتَلِفُ فِي حِلَالٍ وَلَا حَرَامٍ .

١٢٦٢ : حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى عَنْ قَتَادَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخَزَاعِيِّ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبُيْ إِنِّي أَقْرِئْتُ الْقُرْآنَ فَقِيلَ لِي عَلَى حَرْفٍ أَوْ حَرْفَيْنِ فَقَالَ الْمَلَكُ

الَّذِي مَعِيَ قُلْ عَلَى حَرْفَيْنِ قُلْتُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقِيلَ لِي عَلَى حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً فَقَالَ
الْمَلَكُ الَّذِي مَعِيَ قُلْ عَلَى ثَلَاثَةٍ قُلْتُ عَلَى ثَلَاثَةٍ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ ثُمَّ قَالَ لَيْسَ
مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ إِنَّ قُلْتَ سَمِيعًا عَلِيمًا عَزِيزًا حَكِيمًا مَا لَمْ تَخْتَمْ آيَةً عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ
أَوْ آيَةً رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ .

١٢٦٣ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ
مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غَفَارٍ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أَمَّتَكَ عَلَى حَرْفٍ قَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ إِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ
ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ ثَانِيَةً فَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ
أَمَّتَكَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا .

الفصل الثالث

موقف علماء السلف من ظواهر رسم القرآن الكريم

إن تلك الجهود العظيمة التي عرضنا أهمها في الفصول السابقة لتثير الدهشة والإعجاب لكثرتها وتواليها على تعاقب القرون ، وتثير — أيضاً — الإجلال والإعزاز لأولئك الأئمة الذين أدوا إلينا بأمانة دقائق هذا الموضوع وتفصيلاته وحاولوا جاهدين أن يعطوا التفسير الصحيح — على تفاوت بينهم في ذلك — لظواهر الرسم العثماني ، فكان لعلماء الرسم والقراءات أولاً ولعلماء العربية ثانياً مواقف وأقوال في هذا الصدد ، سواء فيما يتعلق بالتزام الرسم في كتابة المصاحف أم بدراسة الظواهر نفسها ومحاولة إعطاء التفسير المحتمل لها ..

أولاً : موقفهم من التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف :

كتب الصحابة رضوان الله عليهم المصاحف بما كان متعارفاً عليه في زمنهم من قواعد الهجاء وأصول الرسم وكان أكثر الصحابة ومن وافقهم من التابعين وتابعيهم يوافقون الرسم العثماني في كل ما يكتبون ، ولو لم يكن قرآناً ولا حديثاً واستمر الأمر على ذلك عهداً طويلاً فكانوا يرسمون الألف واواً في الصلوة والزكاة والحيوة كما يقول ابن قتيبة (أدب الكاتب ص ٢٥٣) ، ويبدو أن محاولات جرت منذ وقت مبكر لإدخال بعض صور الكلمات المستعملة عند الكتابة في المصحف فيروى الداني أن إمام المدينة مالكا (ت ١٧٩هـ) رحمه الله ، سئل ف قيل له : " أرأيت متى استكتب مصحفاً اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم ، فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتابة الأولى " — المقنع للداني ص (٩-١٠) ، ويروى أيضاً أنه سئل عن الحروف التي تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تُغَيَّرَ من المصحف إذا وجدت فيه كذلك ؟ فقال : لا (المقنع ص ٢٨ ، وانظر القسطلاني ج ١ ص ٢٧٩) ، ويعقب الداني على ذلك بقوله : يعني الواو والألف الزائدتين في الرسم لمعنى المعدومتين في اللفظ وقد أجمع العلماء على مثل ما ذهب إليه الإمام مالك (وقد قال الجعبري في شرح العقيلة إن ذلك هو مذهب الأئمة الأربعة ، انظر أحمد بن المبارك : الإبريز ط ١

المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٠٦ هـ ص ٥٩) فقد قال الداني بعد أن روى رأي مالك السابق " ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة " (الداني : المقتع ص ١٠ وانظر السيوطي : الإتيقان ج ٤ ص ١٤٦) ، حتى إن الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١ هـ) قال : " تحرم مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك " (الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣٧٩ ، والسيوطي : الإتيقان ج ٤ ص ١٤٦) وقال البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) في شعب الإيمان : " من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علماً ، وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم " ، — السيوطي : الإتيقان ج ٤ ص ١٤٦ وانظر القسطلاني ج ١ ص ٢٧٩ والمهدي ص ٧٥ — وقال اللبيب في الدرة الصقيلة ص ٣٠ : " فما فعله صحابي واحد فلنا الأخذ به والافتداء بفعله والإتباع لأمره فكيف وقد أجتمع على كتاب المصاحف حين كتبوه نحو اثني عشر ألفاً من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ؟ " ، وقال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) وهو يعقب على رسم لام الجر مفصولة في قوله تعالى في سورة الفرقان ٧ : [وَقَالُوا **مَالِ** هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا] ﴿٧﴾]

وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير — الكشف ج ٣ ص ٢٠٩ ، وانظر السيوطي همع الهوامع ج ٢ ص ٢٤٣ ورسالة في علم الخط له ص ٥٦ — ، ونتيجة لعجز بعض العلماء عن إدراك أسباب ورود بعض الكلمات مرسومة بهيئة تخالف اللفظ من زيادة حرف أو نقصه وذهب إلى أن رسم المصحف وهيئات صور الكلمات إنما هي توقيف عن النبي ﷺ وقد عبر عن هذا المذهب بكل أبعاده الشيخ عبد العزيز الدباغ (١٠٩٠-١١٥٥ هـ) فيما نقله عنه تلميذه أحمد بن المبارك (١٠٩٠-١١٥٥ هـ) في كتاب الإبريز بقوله : " ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو بتوقيف من النبي ﷺ وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة

بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهدي إليها العقول .. وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية .. وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز ، وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في (مائة) دون (فئة) وإلى سر زيادة الياء في (باييد).

ثانياً : رد أحاديث الخطأ في القرآن :

قال الطبري بعد ذكر مختارة : « وإنما اخترنا هذا على غيره لأنه قد ذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب (والمقيمين) وكذلك هو في مصحفه فيما ذكروا فلو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه بخلاف ما هو في مصحفنا وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ ، مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن ، ولا صلحوا بالسنتهم ولقنوه للامة تعليماً على وجه الصواب وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوماً أدل دليل على صحة ذلك وصوابه ، وأن لا صنع في ذلك للكاتب » (١) .

وقال الداني : « فإن قال قائل : فما تقول في الخبر الذي رويتموه عن يحيى ابن يعمر وعكرمة مولى ابن عباس عن عثمان أن المصاحف لما نسخت عرضت عليه فوجد فيها حروفاً من اللحن ، فقال : اتركوها فإن العرب ستقيمها — أو ستعربها — بلسانها ، إذ ظاهره يدل على خطأ في الرسم .

قلت: هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة، ولا يصح به دليل من جهتين ، إحداهما: أنه — مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه — مرسل ، لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئاً ، ولا رأياه ، وأيضاً فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان ، لما فيه من الطعن عليه ، مع محله من الدين ومكانه من الإسلام ، وشدة اجتهاده في بذل النصيحة واهتباله بما فيه الصلاح للامة ، فغير متمكن أن يقول لهم ذلك وقد جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء

(١) تفسير الطبري ٦ | ١٩ .

الأبرار نظرا لهم ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ، ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنا وخطأ يتولى تغييره من يأتي بعده ، ممن لا شك أنه لا يدرك مداه ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده ، هذا مالا يجوز لقائل أن يقوله ، ولا يحل لأحد أن يعتقد . فإن قال : فما وجه ذلك عندك لو صح عن عثمان ؟ قلت : وجهه أن يكون عثمان أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم» ^(١) ، وقال الزمخشري :

﴿وَالْقِيمِينَ﴾ نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة وشواهد ، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف ، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتتان ، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله تلمة ليسدها من بعدهم ، وخرقا يرفوه من يلحق بهم...» ^(٢) .

وقال الرازي : وأما قوله تعالى :

﴿لَكِنَّ الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وَالْقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٢﴾ . ففيه أقوال الأول : روي عن عثمان وعائشة أنهما قالوا : إن في المصحف لحنا وستقيمه العرب بالسنتها ، واعلم : أن هذا بعيد ، لأن هذا المصحف منقول بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه ؟ !» ^(٣) . وقال الزمخشري في الآية « ... حتى تستأنسوا...» بعد نقل الرواية عن ابن عباس فيها : « ولايعول على هذه الرواية » ^(٤) .

(١) تاريخ القرآن - لمحمد طاهر الكردي - ص ٦٥ عن المقنع .

(٢) الكشف ١ | ٥٨٢ .

(٣) التفسير الكبير ١١ | ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) الكشف ٣ | ٥٩ .

وقال الرازي فيها : « واعلم أن هذا القول من ابن عباس فيه نظر ، لأنه يقتضي الطعن في القرآن الذي نقل بالتواتر ، ويقتضي صحة القرآن الذي لم ينقل بالتواتر وفتح هذين البابين يطرق الشك في كل القرآن ، وأنه باطل» (١)

وقال النيسابوري: «روي عن عثمان وعائشة أنهما قالوا: إن في المصحف لحنا وستقيمه العرب بألسنتها ، ولا يخفى ركافة هذا القول ، لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله ﷺ ، فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه ؟ !» (٢) .

وقال ابن كثير في «... حتى تستأنسوا...» بعد نقل قول ابن عباس : « وهذا غريب جدا عن ابن عباس» (٣) .

وقال الخازن في «... والمقيمين...» : «اختلف العلماء في وجه نصبه ، فحكي عن عائشة وأبان بن عثمان: أنه غلط من الكتاب ، ينبغي أن تكتب: والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان: إن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتهم، ف قيل له: أفلا تغيره ؟! فقال: دعوه، فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ، وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم إلى أنه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره .

وأجيب عما روي عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان : بأن هذا بعيد جدا ، لان الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم ، فلا ينبغي أن ينسب هذا لهم قال ابن الانباري : ما روي عن عثمان لا يصح لأنه غير متصل ، ومحال أن يؤخر عثمان شيئا فاسدا ليصلحه غيره ، وقال الزمخشري في الكشاف : ولا يلتفت إلى ما زعموا...» (٤) . وقال في «... حتى تستأنسوا...» : «وكان ابن عباس يقرأ: حتى تستأذنوا ، ويقول: تستأنسوا خطأ من الكاتب ، وفي هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر» (٥) . وقال الرازي في الآية «إن هذان لساحران» : «القراءة المشهورة إن هذان لساحران ، ومنهم من ترك هذه القراءة ، وذكرها وجهاً آخر

(١) التفسير الكبير ٢٣ | ١٩٦ .

(٢) تفسير النيسابوري ٦ | ٢٣ هامش الطبري .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ | ٢٨٠ .

(٤) تفسير الخازن ١ | ٤٢٢ .

(٥) تفسير الخازن ٣ | ٣٢٣ .

فذكرها ووصفها بالشذوذ ، ثم قال :

واعلم أن المحققين قالوا : هذا القراءات لا يجوز تصحيحها لأنها منقولة بطريق الآحاد ، والقرآن يجب أن يكون منقولاً بالتواتر ، إذ لو جوزنا إثبات زيادة في القرآن بطريق الآحاد لما أمكننا القطع بأن هذا الذي هو عندنا كل القرآن ، لأنه لما جاز في هذه القراءات أنها مع كونها من القرآن ما نقلت بالتواتر جاز في غيرها ذلك ، فثبت أن تجويز كون هذه القراءات من القرآن يطرق جواز الزيادة والنقصان والتغيير إلى القرآن وذلك يخرج القرآن عن كونه حجة ، ولما كان ذلك باطلاً فكذلك ما أدى إليه ، وأما الطعن في القراءة المشهورة فهو أسوأ مما تقدم من وجوه :

أولاً : أنه لما كان نقل هذه القراءة في الشهرة كنقل جميع القرآن فلو حكمنا ببطلانها جاز مثله في جميع القرآن ، وذلك يفضي إلى القدح في التواتر وإلى القدح في كل القرآن ، وأنه باطل وإذا ثبت ذلك امتنع صيرورته معارضا بخبر الواحد المنقول عن بعض الصحابة .

ثانياً : أن المسلمين أجمعوا على أن ما بين الدفتين كلام الله ﷻ ، وكلام الله ﷻ لا يجوز أن يكون لحناً وغلطاً ، فثبت فساد ما ينقل عن عثمان وعائشة أن فيه لحناً وغلطاً.

ثالثاً : قال ابن الأنباري : إن الصحابة هم الأئمة والقادة ، فلو وجدوا في المصحف لحناً لما فوضوا إصلاحه إلى غيرهم من بعدهم ، مع تحذيرهم من الابتداع وترغيبهم في الاتباع...»^(١).

وقال أبو حيان الأندلسي في «...والمقيمين...» بعدما ذكر عن عائشة وأبان بن عثمان فيها : « ولا يصح عنهما ذلك ، لأنهما عربيان فصيحان »^(٢).

وقال القنوجي : « وعن عائشة أنها سئلت عن (المقيمين) وعن قوله (إن هذان لساحران) و(الصابئون) في المائدة ، فقالت: يا ابن أخي ، الكتاب أخطأوا وروي عن عثمان بن عفان أنه لما فرغ من المصحف وأتى به قال : أرى فيه

(١) تفسير الكبير ٢٢ | ٧٤ .

(٢) البحر المحيط ٣ | ٣٩٤ .

شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها ، فقيل له: ألا تغيره ؟! فقال : دعوه ، فإنه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً .

قال ابن الانباري : وما روي عن عثمان لا يصح ، لأنه غير متصل ، ومحال أن يؤخر عثمان شيئاً فاسداً ليصلحه غيره ، ولأن القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله ﷺ فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه ؟ !

وقال الزمخشري في الكشاف: ولا يلتفت...»^(١)، وقال في « إن هذان لساحران » « فهذه أقوال تتضمن توجيه هذه القراءة بوجه تصح به وتخرج به عن الخطأ وبذلك يندفع ما روي عن عثمان وعائشة أنه غلط من الكاتب للمصحف »^(٢).

وقال اللوسي في « والمقيمين » : « ولا يلتفت إلى من زعم أن هذا من لحن القرآن وأن الصواب (والمقيمون) بالواو كما في مصحف عبد الله وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى النقي ، إذ لا كلام في نقل النظم متواتراً فلا يجوز اللحن فيه أصلاً ، وأما ما روي أنه لما فرغ من المصحف أتى به إلى عثمان فقال: قد أحسنتم وأجملتم... فقد قال السخاوي : إنه ضعيف ، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع ، فإن عثمان جعل للناس إماماً يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها ، وقد كتب عدة مصاحف وليس فيها اختلاف أصلاً إلا فيما هو من وجوه القراءات ، وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع - وهم هم - كيف يقيمه غيرهم ؟ ! »^(٣)، فهذه كلمات في رد هذه الأحاديث، ويلاحظ أن بعضهم يكتفي « بالاستبعاد » وآخر يقول : « فيه نظر » ، وثالث يقول : « لا يخفى ركافة هذا القول » ، ورابع يقول : « لا يلتفت... » وخامس يقول : « غريب » . ومنهم من يجراً على التضعيف بصراحة فيقول : « لا يصح » ، وفي « الإتيان » عن ابن الانباري أنه جنح إلى تضعيف هذه الروايات^(٤) وعليه الباقلاني في « نكت الانتصار »^(٥) وجماعة .

(١) فتح البيان ٦ | ٤٠٧ - ٤٠٨ .

(٢) فتح البيان ٦ | ٩٤ .

(٣) روح المعاني ٦ | ١٣ - ١٤ .

(٤) الإتيان ٢ | ٣٢٩ .

(٥) نكت الانتصار : ١٢٧ .

لكن بعضهم يستدل ويبرهن على بطلان هذه الأحاديث ، لأن القول بها يفضي إلى القدح في تواتر القرآن ، والطعن في الصحابة وخاصة في جامعي المصحف وعلى رأسهم عثمان ، فهذه الأحاديث باطلة لاستلزامها للبطل... وجماعة ذهبوا إلى أبعد من كل هذا ، وقالوا بوضع هذه الأحاديث واختلاقها ، من قبل أعداء الإسلام... فيقول الحكيم الترمذي ^(١) : « ما أرى مثل هذه الروايات إلا من كيد الزنادقة » ^(٢) ويقول أبو حيان الأندلسي : « ومن روى عن ابن عباس أن قوله : (حتى تستأنسوا) خطأ أو وهم من الكاتب ، وأنه قرأ حتى (تستأنسوا) فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين ، وابن عباس برى من هذا القول » ^(٣) ، وهكذا عالج بعض العلماء والكتاب المتأخرين والمعاصرين هذه الأحاديث فنرى صاحب « المنار » يقول : « وقد تجرأ بعض أعداء الإسلام على دعوى وجود الغلط النحوي في القرآن وعد رفع (الصابئين) هنا من هذا الغلط ، وهذا جمع بين السخف والجهل ، وإنما جاءت هذه الجرأة من الظاهر المتبادر من قواعد النحو ، مع جهل أو تجاهل أن النحو استتبط من اللغة ولم تستتبط اللغة منه... » ^(٤) . ويقول : « وقد عد مثل هذا بعض الجاهلين أو المتجاهلين من الغلط في أصح كلام وأبلغه وقيل : إن (المقيمين) معطوف على المجرور قبله وما ذكرناه أولاً أبلغ عبارة وإن عده الجاهل أو المتجاهل غلطاً ولحناً ، وروي أن الكلمة في مصحف عبد الله بن مسعود مرفوعة فإن صح ذلك عنه وعمن قرأها مرفوعة كمالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي كانت قراءة ، وإلا فهي كالعدم ، وروى عن عثمان أنه قال : إن في كتابة المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها وقد ضعف السخاوي هذه الرواية وفي سندها اضطراب وانقطاع ، فالصواب أنها موضوعة ولو صحت لما صح أن يعد ما هنا من ذلك اللحن ، لأنه فصيح بليغ » ^(٥) .

(١) وهو الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي ، صاحب التصانيف ، من أئمة علم الحديث ، له ترجمة في تذكرة الحفاظ ٢ | ٦٤٥ .

(٢) نواذر الأصول .

(٣) البحر المحيط ٦ | ٤٤٥ .

(٤) المنار ٦ | ٤٧٨ .

(٥) المنار ٦ | ٦٤ .

وهو رأي الرافعي ومحمد أبو زهرة ، فقد وصف محمد أبو زهرة هذه الأحاديث المنافية لتواتر القرآن بـ : « الروايات الغريبة البعيدة عن معنى تواتر القرآن الكريم ، التي احتوتها بطون بعض الكتب كالبرهان للزركشي والإتقان للسيوطي التي تجمع كما يجمع حاطب ليل يجمع الحطب والأفاعي ، مع أن القرآن كالبناء الشامخ الأملس الذي لا يعلق به غبار) .

ثم استشهد بكلام الرافعي القائل : « ... ونحسب أن أكثر هذا مما افترته الملعنة » وقال : « وإن ذلك الذي ذكره هذا الكاتب الإسلامي الكبير حق لا ريب فيه »^(١) .

تأويل أحاديث الخطأ في القرآن

فهذا موقف هؤلاء من هذا القسم من الأحاديث والآثار ، وعليه آخرون منهم لم نذكر كلماتهم هنا اكتفاء بمن ذكرناه... ، وقد اغتاز من هذا الموقف جماعة واستكروه بشدة ... ومن أشهرهم الحافظ ابن حجر العسقلاني ، الذي تحامل على الزمخشري ومن كان على رأيه قائلا بعد الحديث عن ابن عباس « كتبها وهو ناعس » : « وأما ما أسنده الطبري عن ابن عباس فقد اشد إنكار جماعة ممن لا علم له بالرجال صحته ، وبالعالم الزمخشري في ذلك كعادته - إلى أن قال - وهي والله فرية بلا مريه ، وتبعه جماعة بعده ، والله المستعان . وقد جاء عن ابن عباس نحو ذلك في قوله تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . أخرج سعيدي بن منصور بإسناد جيد عنه .

وهذه الأشياء - وإن كان غيرها المعتمد - لكن تكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب أهل التحصيل ، فليُنظر في تأويله بما يليق »^(٢) .

لكن العجب من ابن حجر لماذا أحال التأويل اللائق إلى غيره وقد كان عليه أن يذكره بنفسه وهو بصدد الدفاع عن الأحاديث الصحاح ؟! ، نعم ، نظر بعضهم في تأويله وذكرت وجوه ، فقال الداني بالنسبة إلى ما روي عن عثمان - على فرض صحته - : (وجهه أن يكون أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم) .

(١) المعجزة الكبرى : ٤٣ .

(٢) فتح الباري ٨ | ٣٠١ .

وأجاب ابن أشتة عن هذه الآثار كلها بأن المراد : « أخطئوا في الاختيار وما هو الأولى للجمع عليه من الأحرف السبعة ، لا أن الذي كتب خطأ خارج عن القرآن . فمعنى قول عائشة : (حرف الهجاء) القي إلى الكاتب هجاء غير ما كان الأولى أن يلقى إليه من الأحرف السبعة ، وكذا معنى قول ابن عباس : « كتبها وهو ناعس » يعني : فلم يتدبر الوجه الذي هو أولى من الآخر ، وكذا سائرهما» (١) .

وأتعب السيوطي نفسه في هذا المقام ، فإنه بعد أن أورد الآثار بين وجه الأشكال فيها وتصدى لتأويلها... ولننقل عبارته كاملة لننظر هل جاء « بما يليق » ؟ : قال : « هذه الآثار مشكلة جدا ، وكيف يظن بالصحابة أولا : أنهم — يلحنون في الكلام فضلا عن القرآن ، وهم الفصحاء اللد ؟! ثم كيف يظن بهم ثانيا : في القرآن الذي تلقوه من النبي ﷺ كما انزل ، وحفظوه وضبطوه وأتقنوه ؟ ! ثم كيف يظن بهم ثالثا : اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته... ثم كيف يظن بهم رابعا : عدم تنبهم ورجوعهم عنه ؟ !

ثم كيف يظن بعثمان : أنه ينهى عن تغييره ؟ ! ثم كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مروى بالتواتر خلفا عن سلف ؟ ! هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة .

وقد أجاب العلماء عن ذلك بثلاثة أجوبة :

الأولى : أن ذلك لا يصح عن عثمان ، فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع ، ولأن عثمان جعل للناس إماما يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقييمه العرب بألسنتها ، فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار فكيف يقيم غيرهم ؟ ! وأيضا : فإنه لم يكتب مصحفا واحدا بل كتب عدة مصاحف .

فإن قيل : إن اللحن وقع في جميعها فبعيد اتفاقها على ذلك ، أو في بعضها . فهو اعتراف بصحة البعض ، ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف ، ولم تأت المصاحف قط مختلفة إلا فيما هو من وجوه القراءة وليس ذلك باللحن .

(١) الإتيان ٢ | ٣٢٩ .

الثانية : على تقدير صحة الرواية ، فإن ذلك محمول على الرمز والإشارة .

الثالثة : أنه مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها... وبهذا الجواب وما قبله جزم ابن أشتة في كتاب « المصاحف » .

وقال ابن الانباري في كتاب « الرد على من خالف مصحف عثمان » في الأحاديث المروية عن عثمان في ذلك : « لا تقوم بها حجة ، لأنها منقطعة غير متصلة وما يشهد عقل بأن عثمان وهو إمام الأمة الذي هو إمام الناس في وقته وقبوتهم يجمعهم على المصحف الذي هو الإمام فيتبين فيه خلا ويشاهد في خطه زللا فلا يصلحه ، كلا والله ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز ، ولا يعتقد أنه آخر الخطأ في الكتاب ليصلحه من بعده ، وسبيل الجائين من بعده البناء على رسمه والوقوف عند حكمه .

ومن زعم أن عثمان أراد بقوله : أرى فيه لحنا ، أرى في خطه إذا أقمناه بالسنننا كان الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الأعراب — فقد أبطل ولم يصب — ، لان الخط منبئ عن النطق ، فمن لحن في كتبه فهو لاحن في نطقه ، ولم يكن عثمان ليؤخر فسادا في هجاء ألفاظ القرآن من جهة كتب ولا نطق ، ومعلوم أنه كان مواصلا لدرس القرآن متقنا لألفاظه ، موافقا على ما رسم في المصاحف المنفذة إلى الأمصار والنواحي...

ثم قال ابن أشتة : أنبأنا محمد بن يعقوب ، أنبأنا أبو داود سليمان بن الأشعث أنبأنا أحمد بن مسدة ، أنبأنا إسماعيل ، أخبرني الحارث بن عبد الرحمن ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، قال : لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه فقال : أحسنتم وأجملتم أرى شيئا سنقيمه بالسنننا .

فهذا الأثر لا إشكال فيه ، ويتضح معنى ما تقدم ، فكأنه عرض عليه عقب الفراغ من كتابته فرأى فيه شيئا كتب على غير لسان قريش ، كما وقع لهم في (التابوة) و(التابوت) ، فوعد بأنه سيقومه على لسان قريش ، ثم وفى بذلك عند العرض والتقويم ، ولم يترك فيه شيئا ، ولعل من روى تلك الآثار السابقة عنه حرفها ، ولم يتيقن اللفظ الذي صدر عن عثمان ، فلزم منه ما لزم من الأشكال ، فهذا أقوى ما يجاب عن ذلك ، والله الحمد .

وبعد ، فهذه الأجوبة لا يصح منها شيء عن حديث عائشة ، أما الجواب بالتضعيف فلان إسناده صحيح كما ترى ، وأما الجواب بالرمز وما بعده فلان سؤال عروة عن الأحرف المذكورة لا يطابقه ، فقد أجاب عنه ابن أشته - وتبعه ابن جبارة في شرح الرائية - بأن معنى قولها (أخطئوا) أي في اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه ، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز... وأقول : هذا الجواب إنما يحسن لو كانت القراءة بالياء فيها والكتابة بخلافها، وأما والقراءة على مقتضى الرسم فلا .

وقد تكلم أهل العربية عن هذه الأحرف ووجهوها أحسن توجيه ، أما قوله : (إن هذان لساحران) ففيه أوجه... وأما قوله : (والمقيمين الصلاة) ففيه أيضا أوجه... وأما قوله : (والصابئون) ففيه أيضا أوجه...^(١) . فهذا ما يتعلق بـ « كلمات الصحابة والتابعين... »

أحاديث جمع القرآن بين الرد والتأويل :

وأما الأحاديث التي رووها حول جمع القرآن ، المتضاربة فيما بينها ، والتي اعترف بعضهم كمحمد أبو زهرة بوجود روايات مدسوسة مكذوبة فيها^(٢) فقد حاولوا الجمع بينها ، ثم رفع التنافي بينها وبين أدلة عدم التحريف والبناء على أن القرآن مجموع في عصر النبي ﷺ وبأمر منه... وإليك بيان ذلك بالتفصيل :

لقد تضاربت روايات أهل السنة حول جمع القرآن ، وعلى ضوءها اختلفت كلمات علمائهم والمتحصل من جميعها : أن الجمع للقرآن كان على مراحل ثلاث الأولى: على عهد النبي ﷺ ، حيث كتب في الرقاع والعصب والثانية : على عهد أبي بكر وكان بانتساخه من العصب والرقاع وغيرها وجعله في مكان واحد... والثالثة : على عهد عثمان والذي فعله ترتيبه وحمل الناس على قراءة واحدة... هذا ما كادت تجمع عليه كلماتهم ، والجمع في عهد النبي ﷺ كان « حفظا » و«كتابة» معا ، أما حفظا فإن الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ كثيرون^(٣) .

(١) الإتيان ٢ | ٣٢٠ - ٣٢٦ .

(٢) المعجزة الكبرى : ٣٣ .

(٣) مباحث في علوم القرآن : ٦٥ .

وأما كتابة فإن القرآن لم يكن كاملاً في الكتابة على عهده عند الذين حفظوه كاملاً لكن كانت كتابته كاملة عند الجميع ، فهو مكتوب كله عند جميعهم ، وما ينقص من عند واحد يكمله ما عند الآخرين ، إلا إنه كان متواتراً كله عن النبي ﷺ في عصره حفظاً ^(١) ، فعمد أبو بكر إلى جمعه ، إذ أمر — بعد يوم اليمامة — بجمع تلك الكتابات وجمع القرآن منها بتأليفه وتدوينه ^(٢) ، ثم لم كثرت فيه القراءات ووقعت في لفظه الاختلافات جمع عثمان المصاحف من أصحابها وحمل الناس على قراءة واحدة من بينها وأعدم سائر المصاحف المخالفة لها .

لكن استخلاص هذه النتائج من تلك الأحاديث ، ودفع الشبهات التي تلحق بالقرآن ، يتوقف على النظر في ما ورد في هذا الباب سنداً وممتناً والجمع بينها بحمل بعضها على البعض بقدر الإمكان ، وهذا أمر لا بد منه... فنقول :
أولاً : لقد وردت عن بعض الصحابة أحاديث فيها حصر من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ في عدد معين ، اتفق عبد الله بن عمرو وأنس بن مالك على أنهم « أربعة » على اختلاف بينهما في بعض أشخاصهم...
فعن عبد الله بن عمرو أنهم : عبد الله بن مسعود ، سالم ، معاذ بن جبل ، أبي ابن كعب ^(٣) .

وعن أنس بن مالك — في حديث عن قتادة عنه — هم : أبي بن كعب ، معاذ بن جبل ، زيد بن ثابت ، أبو زيد ، قال : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي ^(٤) .
وفي آخر — عن ثابت عنه — ، قال : « مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة :

أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد » .
فأي توجيه صحيح لحصر جماع القرآن في أربعة ؟ وكيف الجمع بين ما روي عن الصحابين ، ثم بين الحديثين عن أنس ؟.

(١) المعجزة الكبرى : ٢٨ .

(٢) الإتيان ١ | ٦٢ ، مناهل العرفان ١ | ٢٤٢ ، إعجاز القرآن : ٢٣٦ .

(٣) صحيح البخاري ٦ | ١٠٢ ، صحيح مسلم ٧ | ١٤ .

(٤) صحيح البخاري ٦ | ١٠٢ . واختلف في اسم أبي زيد هذا. انظر الإتيان ١ | ٧٤ .

قال السيوطي : « قد استتكر جماعة من الأئمة الحصر في الأربعة ، وقال المازري : لا يلزم من قول أنس (لم يجمعه غيرهم) أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك... قال : وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا مستمسك لهم فيه ، فإننا لا نسلم حمله عليه ظاهره » ثم ذكر السيوطي كلاما للقرطبي ونقل عن الباقلاني وجوها من الجواب عن حديث أنس ثم قال :

« قال ابن حجر : وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف » (١) .

ثانياً : قد اختلفت أحاديثهم في « أول من جمع القرآن » ففي بعضها أنه « أبو بكر » وفي آخر « عمر » وفي ثالث « سالم مولى أبي حذيفة » وفي رابع « عثمان » .

وطريق الجمع بينها أن يقال: إن أبا بكر أول من جمع القرآن أي دونه تدويناً ، وأن المراد من :

«فكان [عمر] أول من جمعه في المصحف» أي : أشار على أبي بكر أن يجمعه وأن المراد فيما ورد في « سالم » : أنه من الجامعين للقرآن بأمر أبي بكر ، وأما « عثمان » فجمع الناس على قراءة واحدة .

ثالثاً : في بيان الأحاديث الواردة في كيفية الجمع وخصوصياته في كل مرحلة أما **في المرحلة الأولى :** فقد روي عن زيد قوله : « كنا على عهد رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع... » (٢) ورووا عنه أيضاً : « قبض رسول الله ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء » (٣) وأنه قال لأبي بكر لما أمره بجمع القرآن : «كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟ !» (٤) . إلا أنه يمكن الجمع بين هذه الأخبار بحمل النافية على عدم تأليف القرآن وجمعة بصورة كاملة في مكان واحد ، بل كانت كتابته كاملة عند الجميع... وهكذا تندفع الشبهة الأولى .

(١) الإتيان ١ / ٢٤٤ - ٢٤٧ .

(٢) المستدرک ٢ / ٦٦٢ .

(٣) الإتيان ١ / ٢٠٢ .

(٤) صحيح البخاري ٦ / ٢٢٥ .

وأما في المرحلة الثانية : فإنه وإن كان أمر أبي بكر بجمع القرآن وتدوينه بعد حرب اليمامة لكن الواقع كثرة من بقي بعدها من حفاظ القرآن وقرائه ، مضافا إلى وجود القرآن مكتوبا على عهد النبي ﷺ ... فلا تطرق الشبهة من هذه الناحية في تواتره ، وأما الحديث : « إن عمر سأل من آية من كتاب الله كانت مع فلان قتل يوم اليمامة... » فإسناده منقطع ^(١) فالشبهة الثانية مندفة كذلك .

وأما جمع القرآن من العصب واللخاف وصدور الرجال - كما عن زيد - فإنه لم يكن لان القرآن كان معدوما ، وإنما كان قصدهم أن ينقلوا من عين المکتوب بين يدي النبي ﷺ ولم يكتبوا من حفظهم ، وأما قوله :

وصدور الرجال : فإنه كتب الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن ، فكان يتتبعها من صدور الرجال ليحيط بها علما ^(٢) .

وأما قول أبي بكر لعمر وزيد : « أقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه » فقد قال الشيخ أبو الحسن السخاوي في « جمال القراء » : معنى هذا الحديث - والله أعلم - من جاء كم بشاهدين على شيء من كتاب الله تعالى . أي : من الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن ولم يزد على شيء مما لم يقرأ أصلا ولم يعلم بوجه آخر ^(٣) ، وأما معنى قوله في الآية التي وجدها عند خزيمة فقال ابن شامة : « ومعنى قوله : فقدت آية كذا فوجدتها مع فلان ، أنه كان يتطلب نسخ القرآن من غير ما كتب بأمر النبي ، فلم يجد كتابة تلك الآية إلا مع ذلك الشخص ، وإلا فالآية كانت محفوظة عنده وعند غيره .

وهذا المعنى أولى مما ذكره مكي وغيره ^(٤) : إنهم كانوا يحفظون الآية لكنهم نسوها فوجودها في حفظ ذلك الرجل فتذكروها وأثبتوها ، لسماعهم إياها من النبي ﷺ ^(٥) .

(١) الإتيان ١ / ٥٩ .

(٢) المرشد الوجيز : ٥٧ .

(٣) المرشد الوجيز : ٧٥ .

(٤) كالزركشي في البرهان ١ / ٢٣٤ .

(٥) المرشد الوجيز : ٧٥ .

وأما أن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده ، فهي رواية مخالفة للمعقول والمنقول ^(١) وإن أمكن تأويلها ببعض الوجوه، وهكذا تندفع الشبهة الثالثة **وأما في المرحلة الثالثة :** فإن عثمان — عندما اختلف المسلمون في القراءة — أرسل إلى حفصة يطلب منها ما جمع بأمر أبي بكر قائلًا : « أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد ابن ثابت و... فنسخوها في المصاحف... » ^(٢) .

هذا هو الواقع في هذه المرحلة ، وما خالفه يطرح أو يؤول كالحديث الذي روي : أنه كان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان. أوله ابن حجر على أن المراد من « الشاهدين » هو « الحفظ والكتابة » ، وناقش البيهقي في سنده وتبعه ابن شامة وصبحي الصالح ^(٣) ، قال ابن شامة بعد أن رواه : « وأخرج هذا الحديث الحافظ البيهقي في كتاب المدخل بمخالفة لهذا في بعض الألفاظ وبزيادة ونقصان فقال : جلس عثمان على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنما عهد كم بنبيكم ﷺ منذ ثلاث عشرة سنة ، وأنتم تختلفون في القراءة ، يقول الرجل لصاحبه : والله ما تقيم قراءتك ، قال : فعزم على كل من كان عنده شيء من القرآن إلا جاء به ، فجاء الناس بما عندهم ، فجعل يسألهم عليه البيينة أنهم سمعوه من رسول الله ، ثم قال : من أعرب الناس ؟ قالوا : سعيد بن العاص ، قال : فمن أكتب الناس ؟ قالوا : زيد بن ثابت كاتب رسول الله ﷺ ، قال : فليمل سعيد وليكتب زيد قال : فكتب مصاحف ففرقها في الأجناد فلقد سمعت رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : لقد أحسن .

قال البيهقي : فيه انقطاع بين مصعب وعثمان ، وقد روي عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبي ﷺ ، وروينا عنه أن الجمع في الصحف كان في زمن أبي بكر والنسخ في المصاحف كان في زمن عثمان ، وكان ما يجمعون أو ينسخون معلوماً لهم ، فلم يكن به حاجة إلى مسألة البيينة .

(١) الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف: ١٢١ .

(٢) صحيح البخاري ٦ / ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٣) مباحث في علوم القرآن : ٧٦ .

قلت : لم تكن البينة على أصل القرآن ، فقد كان معلوما كما ذكروا إنما كانت على ما أحضروه من الرقاع المكتوبة ، فطلب البينة عليها أنها كانت كتبت بين يدي رسول الله وبإذنه على ما سمع من لفظه على ما سبق بيانه ، ولهذا قال : فليمل سعيد ، يعني من الرقاع التي أحضرت ، ولو كانوا كتبوا من حفظهم لم يحتج زيد فيما كتبه إلى من يمليه عليه .

فإن قلت : كان قد جمع من الرقاع في أيام أبي بكر ، فأى حاجة إلى استحضارها في أيام عثمان ؟

قلت : يأتي جواب هذا في آخر الباب » (١) .

قال أبو شامة : « وأما ما روي من أن عثمان جمع القرآن أيضا من الرقاع كما فعل أبو بكر فرواية لم تثبت ، ولم يكن له إلى ذلك حاجة وقد كفيه بغيره... »

ويمكن أن يقال : إن عثمان طلب إحضار الرقاع ممن هي عنده وجمع منها وعارض بما جمعه أبو بكر أو نسخ مما جمعه أبو بكر ، وعارض بتلك الرقاع أو جمع بين النظر في الجميع حالة النسخ ، ففعل كل ذلك أو بعضه استظهارا ودفعاً لوهم من يتوهم خلاف الصواب ، وسدا لباب القالة : إن الصحف غيرت أو زيد فيها أو نقص » (٢) .

وأما ما روي عن ابن مسعود من الطعن في زيد بن ثابت فكله موضوع (٣) ، وإن عمل زيد لم يكن كتابة مبتدأه ولكنه إعادة لمكتوب ، فقد كتب في عصر النبي ﷺ وإن عمله لم يكن عملاً أحادياً بل كان عملاً جماعياً (٤) .

وأما المصاحف التي أمر بتحريقها - قال بعضهم - : « فإنها - والله أعلم - كانت على هذا النظم أيضا ، إلا أنها كانت مختلفة الحروف على حسب ما كان النبي ﷺ سوغ لهم في القراءة بالوجه إذا اتفقت في المعنى - وإن اختلفت في اللفظ » (٥) .

(١) المرشد الوجيز : ٥٨ - ٥٩ .

(٢) المرشد الوجيز : ٧٥ .

(٣) مباحث في علوم القرآن : ٨٢ .

(٤) المعجزة الكبرى : ٣٣ .

(٥) مقدمتان في علوم القرآن : ٤٥ .

قال: ويشهد ذلك ما روي عن محمد بن كعب القرظي ، قال: رأيت مصاحف ثلاثة: مصحفا فيه قراءة ابن مسعود ، ومصحفا فيه قراءة أبي ، ومصحفا فيه قراءة زيد فلم أجد في كل منها ما يخالف بعضها بعضا «^(١) . وهكذا تندفع الشبهة الرابعة .

رد أحاديث نقصان القرآن

وأما أحاديث نقصان القرآن فالمعروف بينهم حملها على نسخ التلاوة ، لئلا يلزم ضياع شيء من القرآن ، ولا الطعن فيما أخرجه الشيخان وما رواه الأئمة الأعيان ، وقد ذكروا لها أيضا وجوها من التأويل سنذكرها .

ولكن - مع ذلك - نجد فيهم من يطعن في بعض تلك الأحاديث فعن ابن الانباري في : «ابن آدم لو أعطي واديا» ، ورواية عكرمة : «قرأ علي عاصم (لم يكن) ثلاثين آية هذا فيها» : «إن هذا باطل عند أهل العلم ، لأن قراءتي ابن كثير وأبي عمرو متصلتان بابي بن كعب لا يفرقان فيهما هذا المذكور في لم يكن «^(٢) .

وقال بعضهم في «آية الحمية» : «روي عن عطية بن قيس ، عن أبي إدريس الخولاني : أن أبا الدرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ومعهم المصحف ليعرضوه على أبي بن كعب وزيد وغيرهما ، فغدوا على عمر ، فلما قرؤوا بهذه الآية : إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية.. قال عمر : ما هذه القراءة ؟ فقالوا : أقرأنا أبي... ، فهذه وما يشبهها أحاديث لم تشتهر بين نقلة الحديث ، وإنما يرغب فيها من يكتبها طلبا للغريب «^(٣) .

وقال فيما ورد عن زر عن أبي بن كعب في عدد سورة الأحزاب «^(٤) : «يحمل إن صح لأن أهل النقل ضعفوا سنده على أن تفسيرها»^(٥) وقال الطحاوي في «آية الرضاع» : «هذا مما لا نعلم أحدا رواه كما ذكرنا غير عبد الله بن أبي بكر وهو عندنا وهم منه ، أعني ما فيه مما حكاه عن عائشة أن رسول الله ﷺ توفي

(١) مقدمتان في علوم القرآن : ٤٧ .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن : ٨٥ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن : ٩٢ .

(٤) في لفظ رواية كتاب (مقدمتان في علوم القرآن) : (الأعراف) .

(٥) مقدمتان في علوم القرآن : ٨٢ .

وهن مما يقرأ من القرآن ، لان ذلك لو كان كذلك لكان كسائر القرآن ، ولجاز أن يقرأ به في الصلوات ، وحاشا لله أن يكون كذلك أو يكون قد بقي من القرآن ما ليس في المصاحف التي قامت بها الحجة علينا... ونعوذ بالله من هذا القول ممن يقوله .

ولكن حقيقة هذا الحديث عندنا — والله أعلم — ما قد رواه من أهل العلم عن عمرة من مقداره في العلم وضبطه له فوق مقدار عبد الله بن أبي بكر وهو القاسم بن محمد بن أبي بكر... فهذا الحديث أولى من الحديث الذي ذكرناه قبله... لان محالا أن يكون عائشة تعلم أن قد بقي من القرآن شئ لم يكتب في المصاحف ولا تنبه على ذلك من أغفله ، ومما يدل على فساد ما قد زاده عبد الله بن أبي بكر على القاسم بن محمد ويحيى بن سعيد في هذا الحديث : أنا لا نعلم أحدا من أئمة أهل العلم روى هذا الحديث مع عبد الله بن أبي بكر غير مالك بن أنس. ثم تركه مالك فلم يقل به وقال بضده ، وذهب إلى أن قليل الرضاع وكثيره يحرم ، ولو كان ما في هذا الحديث صحيحا أن ذلك في كتاب الله لكان مما لا يخالفه ولا يقول بغيره » (١) .

وقال النحاس بعد ذكر حديث آية الرضاع : « فتتازع العلماء هذا الحديث لما فيه من الأشكال فمنهم من تركه وهو مالك بن أنس وهو راوي الحديث... وممن تركه أحمد بن حنبل وأبو ثور... وفي هذا الحديث لفظة شديدة الإشكال ، وهو قولها : فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ في القرآن ، فقال بعض أجلة أصحاب الحديث : قد روى هذا الحديث رجلان جليلان أثبت من عبد الله بن أبي بكر ، فلم يذكرنا أن هذا فيها ، وهما: القاسم بن محمد بن أبي بكر ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وممن قال بهذا الحديث وأنه لا يحرم إلا بخمس رضعات: الشافعي . وأما القول في تأويل (وهن مما يقرأ في القرآن) فقد ذكرنا رد من رده ، ومن صححه قال :

الذي يقرأ من القرآن : وأخوانكم من الرضاعة .

(١) مشكل الآثار ٣ | ٧ - ٨ .

وأما قول من قال : إن هذا كان يقرأ بعد رسول الله ﷺ فعظيم ، لأنه لو كان مما يقرأ لكانت عائشة قد نبهت عليه ، ولكان قد نقل إلينا في المصاحف التي نقلها الجماعة الذين لا يجوز عليهم الغلط ، وقد قال الله تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، وقال : إن علينا جمعه وقرآنه... ولو كان بقي منه شيء لم ينقل إلينا لجاز أن يكون مما لم ينقل ناسخا لما نقل فيبطل العمل بما نقل ، ونعوذ بالله من هذا فإنه كفر « (١) .

وقال السرخسي : « والدليل على بطلان هذا القول قوله تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر... وبه يتبين أنه لا يجوز نسخ شيء منه بعد وفاته ﷺ وما ينقل من أخبار الآحاد شاذ لا يكاد يصح شيء منها وحديث عائشة لا يكاد يصح » (٢) .

وقال الزركشي في الكلام على آية الرضاع : « وحكى القاضي أبو بكر في الانتصار عن قوم إنكار هذا القسم ، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها » (٣) .

وقال صاحب المنار : « وروي عنها أيضا أنها قالت : كان فيما نزل من القرآن : (عشر رضعات معلومات يحرم من) ثم نسخ بـ(خمس رضعات معلومات يحرم من) فتوفي النبي وهي فيما يقرأ من القرآن ، وقد اختلف علماء السلف والخلف في هذه المسألة... ورواية الخمس هي المعتمدة عن عائشة وعليها العمل عندها قال الداهبون إلى الإطلاق أو إلى التحريم بالثلاث فما فوقها : إن عائشة نقلت آية الخمس نقل قرآن لا نقل حديث ، فهي لم تثبت قرآنا لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، ولم تثبت سنة فتجعلها بيانا للقرآن ، ولا بد من القول بنسخها لئلا يلزم ضياع شيء من القرآن ، وقد تكفل الله بحفظه وانعقد الإجماع على عدم ضياع شيء منه ، والأصل أن ينسخ المدلول بنسخ الدال لا أن يثبت خلافه وعمل عائشة به ليس حجة على إثباته ، وظاهر الرواية عنها أنها لا تقول بنسخ تلاوته فيكون من هذا الباب .

(١) الناسخ والمنسوخ : ١٠ - ١١ .

(٢) الأصول ٢ | ٧٨ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢ | ٣٩ - ٤٠ .

ويزاد على ذلك أنه لو صح أن ذلك كان قرآنا يتلى لما بقي علمه خاصا بعائشة ، بل كانت الروايات تكثر فيه ويعمل به جماهير الناس ويحكم به الخلفاء — الراشدون ، وكل ذلك لم يكن بل المروي عن رابع الخلفاء وأول الأئمة الأصفياء القول بالإطلاق كما تقدم ، وإذا كان ابن مسعود قد قال بالخمس فلا — يبعد أنه أخذ ذلك عنها ، وأما عبد الله بن الزبير فلا شك في أن قوله بذلك اتباع — لها ، لأنها خالته ومعلمته ، واتباعه لها لا يزيد قولها قوة ولا يجعله حجة ، ثم إن الرواية عنها في ذلك مضطربة ، فاللفظ الذي أوردناه في السياق رواه عنها مسلم وكذا أبو داود والنسائي ، وفي رواية لمسلم : نزل عشر رضعات معلومات ثم نزل أيضا خمس معلومات ، وفي رواية الترمذي : نزل في — القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلك خمس رضعات إلى خمس رضعات معلومات فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك وفي رواية ابن ماجة : كان فيما أنزل الله — عز وجل — من القرآن ، ثم سقط لا يحرم إلا عشر رضعات أو خمس رضعات ، فهي لم تبين في شيء من هذه الروايات لفظ القرآن ولا السورة التي كان فيها ، إلا أن يراد برواية ابن ماجة أن ذلك لفظ القرآن.. ثم قال بعد إيراد تأويل قاله (الجامدون على الروايات من غير تمحيص) كما وصفهم : — إن رد هذه الرواية عن عائشة لاهون من قبولها مع عدم عمل جمهور من السلف والخلف بها كما علمت فإن لم نعتمد روايتها فلنا أسوة بمثل البخاري وبمن قالوا باضطرابها ، خلافا للنووي ، وإن لم نعتمد معناها فلنا أسوة بمن ذكرنا من الصحابة والتابعين ومن تبعهم في ذلك كالحنفية ، وهي عند مسلم من رواية عمرة عن عائشة ، أو ليس رد رواية عمرة وعدم الثقة بها أولى من القول بنزول شيء من القرآن لا تظهر له حكمة ولا فائدة ، ثم نسخه أو سقوطه أو ضياعه فإن عمرة زعمت أن عائشة كانت ترى أن الخمس لم تنتسخ؟! وإذا لا نعتد بروايتها «^(١) . وأبطل صاحب الفرقان الأحاديث الواردة في «الرضاع» و «الرجم» و «لو كان لابن آدم...» ونص على دس الأباطيل في الصحاح^(٢) .

(١) المنار ٤ | ٤٧١ ٤٧٤ .

(٢) الفرقان : ١٥٧ .

وقال بعض المعاصرين: « نحن نستبعد صدور مثل هذه الآثار بالرغم من ورودها في الكتب الصحاح ،وفي بعض هذه الروايات جاءت العبارات التي لا تتفق ومكانة عمر ولا عائشة مما يجعلنا نطمئن إلى اختلاقها ودسها على المسلمين » ^(١) ،وقال آخر في خبر ابن أشته في المصاحف: أن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها زير لأنه كان وحده: « هذه الرواية مخالفة للمعقول والمنقول » ^(٢) ، وتنازع العلماء حديث إنكار ابن مسعود الفاتحة والمعوذتين ، ففي - (الإتقان) عن الفخر الرازي : (نقل في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان - ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن ، وهو في غاية الصعوبة ، لانا إن - قلنا : إن النقل المتواتر كان حاصلًا في عصر الصحابة يكون ذلك من القرآن ، - فإنكاره يوجب الكفر ، وإن قلنا : لم يكن حاصلًا في ذلك الزمان فيلزم أن القرآن - ليس بمتواتر في الأصل ، قال: والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل ، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة) ، قال السيوطي : (وكذا قال القاضي أبو بكر : لم يصح عنه أنها ليست من - القرآن ولا حفظ عنه ، وإنما حكها وأسقطها من مصحفه إنكارا لكتابتها لا جحدا - لكونها قرآنا..، وقال النووي في شرح المذهب : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئًا كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح ، وقال ابن حزم في المحلى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر ، عنه ، وفيها المعوذتان والفاتحة » .

قال السيوطي : « وقال ابن حجر في شرح البخاري : قد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك فأخرج أحمد وابن حبان عنه: أنه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه وأخرج عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي ، قال : كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله

(١) النسخ في القرآن ١ | ٢٨٣ .

(٢) الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف : ١٢١ .

وأخرج البزار والطبراني من وجه آخر عنه أنه : كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول : إنما أمر النبي ﷺ أن تعوذ بهما وكان لا يقرأ بهما .
أسانيد صحیحة ، قال البزار : لم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة وقد صح أنه ﷺ قرأ بهما في الصلاة .
قال ابن حجر : فقول من قال : إنه كذب عليه مردود ، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل ، بل الروايات صحيحة والتأويل محتمل ^(١) .
أقول : لكن لم نر من ابن حجر تأويلاً لهذه الأحاديث ، فهو إحالة إلى غيره كما فعل بالنسبة إلى الأحاديث السابقة ! !

تأويل أحاديث نقصان القرآن

قال السيوطي : « وقد أوله القاضي وغيره على إنكار الكتابة كما سبق . وهو تأويل حسن ، إلا إن الرواية الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك ، حيث جاء فيها : ويقول : إنهما ليست من كتاب الله » .
قال : ويمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف فيتم التأويل المذكور ، لكن من تأمل سياق الطرق المذكورة استبعد هذا الجمع .
وقد أجاب ابن الصباغ بأنه لم يستقر عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك ، وحاصله : أنهما كانتا متواترتين في عصره لكنهما لم يتواترا عنده .
وقال ابن قتيبة في « مشكل القرآن » : « ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن ، لأنه رأى النبي ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين ، فأقام على ظنه ولا نقول : إنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار » .
قال السيوطي : « وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن ، معاذ الله ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، ورأى أن ذلك مأمون في الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل واحد » ^(٢) .

(١) الإتيان في علوم القرآن ١ | ٢٧٠ - ٢٧٢ .

(٢) الإتيان في علوم القرآن ١ | ٢٧٢ .

أقول : هذه وجوه التأويل في حديث إنكار ابن مسعود كون الفاتحة والمعوذتين من القرآن ولهم في حمل الأحاديث الأخرى وجوه :

١ — الحمل على التفسير :

وقد حمل بعضهم عليه عددا من الأحاديث ، من ذلك ما ورد حول ما أسميناه بآية الجهاد فقال: يحمل على التفسير، والمراد من « أسقط من القرآن » أي : أسقط من لفظه فلم تنزل الآية بهذا اللفظ ، لا أنها كانت منزلة ثم أسقطت وإلا فما منع عمر وعبد الرحمن من الشهادة على أن الآية من القرآن وإثباتها فيه ؟! ^(١) ، ومن ذلك : ما ورد حول آية المحافظة على الصلوات عن عائشة وحفصة من إلحاق كلمة «وصلاة العصر» بقوله تعالى : «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» بأن الكلمة أدرجت على سبيل التفسير والإيضاح ^(٢) ومن ذلك : ما ورد عن أبي موسى الأشعري حول سورة كانوا يشبهونها في الطول والشدة بسورة براءة ، فقد ذكر بعضهم له وجوها منها: أنه يجوز أن يكون تفسيراً ، وحفظ منها أي من تفسيرها ومعناها ^(٣) ، ومن ذلك: ما ورد عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب ، أنه قال له : « كم تقرأ سورة الأعراف » ^(٤) ؟ قلت: ثلاثا وسبعين آية... : فقد قيل : « يحمل إن صح — لان أهل النقل ضعفوا سنده — على أن تفسيرها كان يوازي سورة البقرة ، وأن في تفسيرها ذكر الرجم الذي وردت به السنة » ^(٥) .

٢ — الحمل على السنة :

وهذا وجه آخر اعتمد عليه بعض العلماء بالنسبة إلى عدد من الأحاديث : ومن ذلك : قول أبي جعفر النحاس وبعضهم في آية الرجم : « إسناد الحديث صحيح ، إلا انه ليس حكمه حكم القرآن الذي نقله الجماعة عن الجماعة ولكنها سنة ثابتة ... وقد يقول الإنسان : « كنت أقرأ كذا » لغير القرآن

(١) مقدمتان في علوم القرآن : ١٠٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ١ | ٢١٥ ، مباحث في علوم القرآن : ١١٢ ، الناسخ والمنسوخ : ١٥ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن : ٩٧ .

(٤) كذا ، والذي نقلناه سابقا عن الدر المنثور عن طائفة من أهم مصادرهم : (الأحزاب) .

(٥) مقـدمتان فـي علـم القرآن ————— وم الق ————— رآن : ٨٣ .

والدليل على هذا أنه قال : ولولا أن أكره أن يقال : زاد عمر في القرآن لزدته «^(١) ، ومن ذلك : قول بعضهم حول آية : « لو كان لابن آدم » : « إن هذا معروف في حديث النبي ﷺ على أنه من كلام الرسول لا يحكيه عن رب العالمين في القرآن... ويؤيده حديث روي عن العباس بن سهل ، قال : سمعت ابن الزبير على المنبر يقول : قال رسول الله : لو أن ابن آدم أعطى واديان »^(٢) .

٣ — الحمل على الحديث القدسي :

وعليه حمل بعضهم آية الرضاع حيث قال : « يحمل على الحكم النازل سنة لا على جهة القرآنية ، وإلا لما أكله الداجن ، والله يقول : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، ولو كان من القرآن لما اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ في آية واحدة ، بل كانت الآية الناسخة تتأخر عن المنسوخة ، كما لا يجوز أن يجتمع حكمان مختلفان في وقت واحد وحال واحدة . وكيف يجوز أن يكون قرآن يتلى على عهد رسول الله ﷺ على ما أخبرت به عائشة ولا يحفظه واحد من الصحابة^(٣) قال : « ويدل على ذلك قوله ﷺ : أوتيت القرآن ومثله معه ، إنه الحكمة »^(٤) ، وكذا حمل عليه آية الرجم ، قال : «وهو الري اعتمده شيخي أبو جعفر محمد بن أحمد بن جعفر»^(٥) .

٤ — الحمل على الدعاء :

وهذا ما قاله بعضهم في ما سمي بـ « سورة الحفد » و « سورة الخلع » فقال : «وأما ما ذكر عن أبي بن كعب أنه عد دعاء القنوت : اللهم إنا نستعينك... سورة من القرآن فإنه - إن صح ذلك - كتبها في مصحفه لا على أنها من القرآن ، بل ليحفظها ولا ينساها احتياطاً ، لأنه سمع النبي ﷺ كان يقنت بها في صلاة الوتر وكانت صلاة الوتر أؤكد السنن...»^(٦) .

(١) الناسخ والمنسوخ : ٨ ، مقدمات في علوم القرآن : ٧٨ .

(٢) مقدمات في علوم القرآن : ٨٥ .

(٣) مقدمات في علوم القرآن : ٨٧ — ٨٨ .

(٤) مقدمات في علوم القرآن : ٨١ .

(٥) مقدمات في علوم القرآن : ٨٥ — ٨٦ .

(٦) مقدمات في علوم القرآن : ٧٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم